الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور- خنشلة-

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

صورة المدينة بين "الزلزل" و"ذاكرة الجسد"

مذكرة مقدمة لاستكمال مقاييس شهادة **الماستر في اللغة والآداب**

تخصص أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

- **وسلم بوعناني**

إشراف الأستاذة:

- سعيدة بن بوزة

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
نسيمة بن عباس	أستـــاذ محاضر-ب-	عباس لغرور- خنشلة-	رئيسا
سعيدة بن بوزة	أستـــاذ محاضر-أ-	عباس لغرور- خنشلة-	مشرفا و مقررا
إلهام شادر	أستـــاذ مساعد-أ-	عباس لغرور- خنشلة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: **2015/2014**

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:(رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا انْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

البقرة(285،286)

المقدمة

تعد الرواية ديوان العصر الحديث وسيدة الفنون الأدبية، فهي صورة مصغرة عن المجتمع، إذ تحاكي الواقع لكن ليس نقلا حرفيا عنه، وإنما نقل يمتزج فيه الواقع بالخيال، كما يقوم بناؤها الفني على الشخصيات وكيفية تفاعلها مع الحدث في المكان الذي تدور فيه الأحداث إذ يعد المكان حلقة وصل التي تربط أجزاء العمل ببعضها البعض.

ولقد أبدع في هذا الجنس الأدبي الكثير من الروائيين في الوطن العربي وكذا الجزائر، ومن بين هؤلاء نذكر **رشيد بوجدرة ، واسيني الأعرج، زهور ونيسي، الطاهر وطار، أحلام مستغانمي،** وقد ركزت هذه الدراسة على أهم عملين إبداعيين للروائيين **الطاهر وطار** في روايته – **الزلزال**– و **أحلام مستغانمي** في رواية – **ذاكرة الجسد**–.

أما دافعي للقيام بهذه الدراسة هو تميز النص الروائي الجزائري، وبراعة الروائيين الجزائريين في الكتابة، بعد أن كانت النصوص الجزائرية مهملة، ولم تحظ بكثير من الاهتمام والدراسة من قبل النقاد والدارسين، بالإضافة إلى ذلك اهتمام الدارسات بجنس الرواية وبمكوناتها السردية خاصة عنصر المكان أو الفضاء، فمن قبل كان المكان مجرد مؤطر للأحداث، أما الآن فيحتل موقعا رئيسيا ومحوريا في الرواية، حتى أنه أصبح يعد شخصية من شخصيات الرواية، وهذا ما لفت انتباهنا في روايتي– **الزلزال**– و – **ذاكرة الجسد**– الحضور الطاغي للمكان– مدينة **قسنطينة**– التي تعد الموضوع الرئيسي التي بنى عليها الروائيين روايتيهما.

والاشكالية المطروحة هي:

- **كيف جاءت صورة المدينة في الروايتين؟ ومن أجاد في وصفها؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية جاءت الدراسة ممنهجة كالتالي:

مدخل ثم فصلين تسبقهما مقدمة وأخيرا خاتمة.

أما **المدخل** فقد تم الحديث فيه عن المكان وحضوره في النص الشعري منذ العصر العربي القديم مرورا بباقي العصور الأخرى، وانتقال الاهتمام به من الشعر إلى النثر خاصة جنس الرواية.

أما **الفصل الأول** فقد جاء معنونا ب " **تحديد المفاهيم**" وتم الحديث فيه عن مفهوم **المكان** ومفهوم **الفضاء** وأنواعهما والفرق بينهما في حين تم الحديث في **الفصل الثاني** عن أنواع المكان في روايتي "**الزلزال وذاكرة الجسد**"، وقد جاءت الأمكنة متنوعة بين أمكنة مفتوحة وأخرى مغلقة.

وختمت الدراسة **بخاتمة** جمعت فيها أهم النتائج المتوصل إليها، ولما كانت الخطة التي سيعتمدها البحث على النحو الموضح آنفا، كان المنهج المناسب لتطبيقها هو المنهج البنيوي، بالاعتماد على مجموعة من المراجع أهمها:

حسن بحراوي- بنية الشكل الروائي-، حميد لحميداني- بنية النص السردي-، الشريف حبيلة- بنية الخطاب الروائي-، وحفيظة احمد في الرواية النسائية الفلسطينية.

وفي الأخير، أشكر أساتذة وإطارات جامعة **عباس لغرور** وخاصة أساتذة قسم اللغة العربية، وعلى رأسهم الأستاذة المشرفة " **سعيدة بن بوزة**" التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث والتي ساعدتني بنصائحها المفيدة وكذا بتوفيرها بعض عناوين الكتب المتعلقة بالموضوع، فجزاها الله خيرا.

وكما يقال:

" **ليس بشرط على المجتهد أن يصيب الحق، بل يكفيه أنه حاول أن يصل إليه أو يقترب منه**".

"**ومن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد**".

والله المستعان.

المدخل

يحظى المكان بأهمية كبيرة في حياة الإنسان، فهو – أي المكان– في نظر هـليس مجرد أبعاد هندسية وجغرافية، وإنما يدل على الانتماء والهوية.

فلطالما ارتبط الإنسان بالأرض وتعلق بها لأن "**الأرض هي الوجود ذاته، هي البساط الذي يتحقق فيه الوعي،الذات والتاريخ.**"[1]

والعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة عميقة ومتبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر، كما أنها علاقة تفاعلية لذلك فقد" **أدرك الإنسان أثر المكان في حياته، ودوره الفاعل في رسم العلاقة بينه وبين العالم المحيط به.**"[2]

ولدرجة ارتباطه وتعلقه بالمكان اعتبر المساس بأرضه أو بيته....تهديدا و مساسا بهويته. وخير من يجسد هذه العلاقة العميقة بين الإنسان والمكان هو **الشعر العربي** القديم فقد " **عرف الإنسان العربي بحبه للأرض وارتباطه بها وحنينه لكل مكان تركه، وهذه السمة نلمس آثارها لدى الشاعر العربي بشكل كبير.**"[3]

فجاء الشعر ليجسد ذلك الشعور الذي يتغلغل في نفس الشاعر، فكان الوقوف على الأطلال هو السمة البارزة عند الشاعر الجاهلي وعنصر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه، فأصبحت هذه الظاهرة – الوقوف على الطلل– عنصرا أساسيا وضروريا في بناء القصيدة العربية.

فأصبح المكان هو المولد الرئيسي للأحاسيس والمشاعر، ومهرب الشاعر للعودة إلى الماضي واسترجاع الذكريات، فهذا **امرؤ القيس** الذي استوقفته الديار وحن إليها وبكى عليها ويقول:"

1- **حسن نجمي،"شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية"**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط1،2000،ص159.

2- **محمد عبيد صالح السبهاني،"المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة"**، دار الأفاق العربية،القاهرة-مصر-ط1،2007،ص18.

3- المرجع نفسه،ص20.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل[1]

كما كان المكان في الشعر القديم يرتبط بالأشخاص: **(المرثي، الممدوح، المرأة الحبيبة)**، و نجد أن هذه الأخيرة قد أخذت حيزا كبيرا من تفكير الشاعر، و أصبح المكان عنده لا يعني شيئا في غياب حبيبته. يقول **لبيد بن ربيعة العامري:**

عفت الديار محلها فمقامـــهـــا بـمنـى تأبـــد غولها فرجامها[2]

فقد أصبحت الديار لا تعني شيئا بالنسبة للشاعر، طالما تلك المحبوبة لم تعد فيها، فتولد إليه شعور بالوحشة و الضياع.

لكن بعد مجيء **الإسلام** اختلفت نظرة الشاعر للمكان "**فأصبحت رؤية مشحونة بتيار إسلامي و أخذ الشاعر يلج في ذكر الأماكن المقدسة بعيدا عن أماكن اللهو و المجون.**"[3]

فأصبح الشاعر لا يتحدث عن أطلال ديار حبيبته أو آثار الأهل الراحلين، يقول **حسان بن ثابت –رضي الله عنه–:**

بطيبـةَ رسـمٌ للرسـولِ ومعهـــدُ منـــيرٌ، وقد تعفو الرسـومُ وتهمـد

ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حرمـــةٍ بِها منبرُ الهادي الذي كانَ يصـــعـدُ

وواضحُ آياتٍ، وبـــاقـي معـالـمٍ وربعٌ لـــــهُ فيـهِ مصلىً ومســجـدُ

بِها حجراتٌ كانَ ينـزلُ وسطهـــا منَ اللهِ نـورٌ يستضـــاءُ، ويـــوقـدُ[4]

1- **ديوان امرؤ القيس،" موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث"**، دار البدر للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص184.

2- **ديوان لبيد بن ربيعة،" موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث"**، دار البدر للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2011، ص60.

3- **محمد عبيد صالح السبهاني،" المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة"**، ص24.

4- **ديوان حسان بن ثابت-رضي الله عنه-" موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث"**، دار البدر للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص54.

الشاعر هنا في هذه الأبيات يتحدث عن أمكنة مقدسة ديار **النبي – صلى الله عليه و سلم**– و يبكيها، لكن ليس كبكاء الجاهلية.

أما في **العصر الأموي** فنجد أن حضور المكان و أهميته لم تتغير، ينعكس على نفسية الشاعر إما إيجابا أو سلبا، فـ "**الموقف من المكان بالنسبة للشاعر يعطي رؤية كاملة عنه و ما يختلج في نفسه من أحاسيس و ما يعانيه من مشاعر تجاه ذلك المكان.**"[1]

فهذا **الفرزدق** يحدثنا عن السجن فيقول:

في محبس يتردى فيه ذو ريب يخشى على شديد الهول مرهوب[2]

فالسجن هو مكان للخوف و الظلمة و الوحش و الرهبة، و تأثيره واضح على نفسية الشاعر من خلال البيت السابق.

أما في **العصر العباسي** فلا زال توظيف المكان واضحا في أعمال الشعراء، يقول **أبو تمام:**

نقل فؤادك حيث شئت من الهـــوى ما الحـــب إلا للحـــبـــيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتـى و حنينـــــه أبدا لأول منـــــزل[3]

فالشاعر مثلما وجد العاطفة و الأمان في الحبيب الأول، وجده أيضا في مكان إقامته الأول، فـ "**الموقف من المكان متأت من قيمة المكان و ما يثيره من أحاسيس و مشاعر في وعي الشعراء بوصفهم أكثر الناس حساسية تجاه البيئة المحيطة بهم**".[4]

1-**محمد عبيد صالح السبهاني،" المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة"**، ص5.

2-**ديوان الفرزدق، "موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث"**، دار البدر للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص46.

3- **ديوان أبي تمام،" موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث"**، دار البد للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص212.

4-**محمد عبيد صالح السبهاني،" المكان في الشعر الأندلسي، من الفتح حتى سقوط الخلافة"**، ص105.

فكل شاعر له رؤية و مشاعر تجاه المكان سواء كانت مشاعر و رؤية إيجابية تتمثل في ألفة المكان، أو مشاعر و رؤية سلبية تتمثل في النفور من المكان، و هذه الرؤى التي تحدد لنا موقف الشاعر منه –أي من المكان– .

و مثلما شكل المكان حضورا لدى الشاعر العربي منذ "**العصر الجاهلي**"، كان الأمر نفسه في شعر **الأندلسيين**. إذ يعد هذا الشعر امتدادا للشعر العربي في المشرق، كما كان الشعراء **الأندلسيون** مقلدين للمشارقة ، و لكن هذا التقليد لم يمنعهم من الإبداع.

فالأندلس تتميز بأنها ذات طبيعة ساحرة، و مناظر خلابة، فافتتن شعراء الأندلس بها و تفننوا في وصفها، يقوا **ابن خفاجة:**

يا أهل الأندلـس لله دركـم ماء و ظل و أنهار و أشجار

ماجنة الخلد إلا في دياركم و لو تخيرت هذا كنت أختار[1]

فالمكان لا يزال يؤدي دورا فعالا في الغرض الشعري، كما أنه وسيلة فنية معبرة عن مشاعر الشعراء، الذين استخدموه للتعبير عن معاناتهم، فهذا **ابن زيدون** عندما أودع في السجن أتى بصور بديعية في شعره، فشبه نفسه عندما سجن بالقمر الذي أصابه الخسوف أو بشمس ألم بها كسوف يقول:

هل الرياح بنجـم الأرض عاصـــفـــة أم الكسوف لغير الشمس و القمر؟

إن طال في السجن إيداعي فلا عجب قد يودع الجفن حد الصارم الذكر[2]

و لم يقتصر توظيف المكان على الشعر فقط بل تعداه إلى النثر و خاصة جنس "**الرواية**" في **العصر الحديث**، فقد "**اهتمت الرواية الكلاسيكية و الحديثة بالمكان، فعملت على توظيفه**

4- **محمد عبيد صالح السبهاني،" المكان في الشعر الأندلسي، من الفتح حتى سقوط الخلافة"**، ص86.

1-**إحسان عباس ،" تاريخ الأدب الأندلسي" (عصر سيادة قرطبة)**، دار الثقافة، بيروت(لبنان)، ط1، 1960، ص81.

لتضفي عليه ملامح شخصياتها الذاتية، فضلا عن السمات الجمالية والعواطف الإنسانية التي تعتني بالتجارب الاجتماعية و السياسية، و التي لولاها لما اكتمل العمل الفني."[1]

فالمكان له أهمية كبيرة في الرواية، فهو أ حد عناصرها الفنية، و فيه تجري الأحداث، و تتحرك الشخصيات، فهو "**ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا و يتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله."**[2]

فهناك من يرى في المكان هوية العمل الأدبي، فهو ليس مجرد أبعاد جغرافية و هندسية، أو ديكور للشخصية و الأحداث الروائية، إنما هو عنصر فاعل في الرواية و تطورها و بنا ئها، و في طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه.

و قد حظي عنصر المكان بمكانة مميزة في الرواية العربية، و من خلال اطلاعنا على الإنتاج الروائي نجد أن كثيرا من الروائيين قد اهتموا به في كتاباتهم و إبداعاتهم، فهو "**الجغرافية الخلاقة و العمل الفني**"[3]

و على غرار الرواية العربية نجد أن الرواية الجزائرية لم تهمل هذا العنصر، فعند اطلاعنا على الإنتاج الروائي الجزائري، نجد حضورا للمكان في إبداعات الروائيين لكنه حضور محتشم خاصة في بداية ظهور الكتابة الروائية، لكنه ما لبث أن صار بطلا رئيسا خاصة في الرواية المعاصرة.

و أهم عملين روائيين كان حضور المكان فيهما بامتياز هما: **رواية –الزلزال– للطاهر وطار– و رواية –ذاكرة الجسد– لأحلام مستغانمي.**

و يتقاطع هذان العملان في مدينة **قسنطينة** التي شكلت الفضاء الرئيسي فيهما.

1-**ضياء غني لفته ،"و عواد كاظم لفته، سردية النص الأدبي"**، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان(الأردن)، ط1، 2011، ص29.

2- **حسن بحراوي، "بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي"**، الدار البيضاء، ط2، 2009، ص33.

3- **ياسين النصير، "الرواية و المكان، الموسوعة الصغيرة"**، منشورات وزارة الثقافة و الاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد(العراق)، ط1، 1986، ص17-ص18.

و للمكان أثر عميق في وعي الكاتب، فهو يتعامل معه كفضاء جغرافي، لكن الروائي في وصفه للمكان يختلف عن وصف الجغرافيين له، فوصفهم يكون باردا لا عاطفة فيه، عكس الروائي الذي يصوره بطريقة حميمية تفيض بالمشاعر.

و السؤال الذي يطرح هنا:

-ما هو مفهوم المكان و الفضاء؟

-ما هي أنواع المكان و الفضاء؟

-ما الفرق بينهما؟

الفصل الاول

الفصل الأول: تحديد المفاهيم

1-مفهوم المكان:

1-1- المفهوم اللغوي.

1-2-المفهوم الاصطلاحي.

2-أنواع المكان:

2-1- المكان الهندسي .

2-2- المكان المجازي.

3-مفهوم الفضاء:

3-1- المفهوم اللغوي.

3-2- المفهوم الاصطلاحي.

4-أنواع الفضاء:

4-1- الفضاء الجغرافي.

4-2- الفضاء النصي.

4-3-الفضاء الدلالي.

4-4- الفضاء كمنظور أو كرؤية.

5-الفرق بين الفضاء والمكان.

1-* مفهوم المكان*:

يعد المكان أهم العناصر والمقومات التي تقوم عليها الرواية إلى جانب الزمان والشخصيات.

1-1-المفهوم اللغوي:

وردت عدة تعريفات لمصطلح – **مكان**– في المعاجم اللغوية نذكر منها:

" **المكان، الموضع والجمع أمكنة...وأماكن جمع الجمع.. فالمكان والمكانة واحد، لأنه موضع لكينونة الشيء ، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكانا فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك ، وقم مكانك، وأقعد مقعدك، فقد دل على أنه مصدر من كان أو موضع منه، فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية، لأن العرب تشبه الحرف بالحرف**"[1]

" **المكانة: المنزلة ورفعة الشأن.**

المكان: المنزلة، يقال: هو رفيع المكان والموضع، جمعه أمكنة"[2].

من خلال التعاريف السابقة ذات الدلالات المتشابهة نجد أن مصطلح – المكان– يعني **الموضع.**

1-2-المفهوم الاصطلاحي:

شغل المكان كمفهوم حيزا كبيرا من اهتمام الباحثين والدارسين، وقد اختلف الدارسون في تحديد مفهومه، كما عجزوا عن حصره في تعريف واحد.

وسنعرض بعض التعريفات لهذا المصطلح:

---

[1]- **ابن منظور**،"**لسان العرب**"،مجلد14،دار صادر، بيروت،ط1، 1990،ص113. -

2- **ابراهيم مصطفى وآخرون**،" **معجم الوسيط**"، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،ج1،ج2،**اسطنبول**، تركيا،ط1، 1972،ص882. -

- **عند النقاد الغرب:**

يرى "**كريفل**"أن المكان "**هو الذي يؤسس المحكي لأن الحدث بحاجة إلى مكان، وبقدر حاجته إلى فاعل وإلى زمن ، والمكان هو الذي يضفي على التخيل مظهر الحقيقة**"[1].

فمن خلال هذا القول نجد أن المكان ضروري في العملية الحكائية، فالحدث بحاجة إلى مكان مثله مثل أهمية الزمن في الرواية، فالمكان يعطي انطباعا بواقعية الأحداث والشخصيات.

كما نجد أن "**غاستون باشلار**" **Gaston Bachlard**" في كتابه "**شعرية الفضاء**" "**Poétique De L'éspace**" ينطلق من الفلسفة الظاهراتية ليربط بشكل خاص بين المكان وعلاقته بالإنسان، والدلالة التي يمكن أن يؤديها تنوع أشكال المكان.

ويركز في بحثه على الأماكن التي ترتبط بحياة الانسان في مختلف مراحل حياته، ومستوياته الاجتماعية المتعددة، فلا يبقى المكان مجرد أبعاد هندسية لكنه أيضا يحمل قيما حسية وجمالية تدفع إلى التذكر والتخيل.

وقد قصر "**باشلار**" دراسته على أمكنة الألفة، فهو يدرس أمكنة ذات قيمة ودلالة محددة، فهو يقول عن دراسته أنها تبحث في تحديد القيمة الإنسانية لأنواع المكان يمكننا الإمساك به والذي يمكن الدفاع عنه.

ولا يمكن للمكان أن يوجد بعيدا عن اللغة وعلاماتها فهو " **يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها**"[2].

إذن فللمكان دور فعال داخل العمل الروائي " **فهو يؤثر فيها ويقوي نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف، لأن تغيير المكان يؤدي بالضرورة إلى تغيير الحبكة**"[3].

معناه أن المكان يمثل محورا أساسيا في الرواية، فلم يعد فقط مؤطرا للأحداث.

1- **جنيت كولدنستين، رايمون كريفل وغيرهم، "الفضاء الروائي"** تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق ط1، 2002، ص137.

2-**حسن بحراوي ،"بنية الشكل الروائي"(الفضاء الزمن ، الشخصية)**، المركز الثقافي العربي،بيروت ،لبنان، الدار البيضاء،ط1، 1990،ص27.

3-المرجع نفسه ص 32.

أما مفهوم **المكان** عند **النقاد العرب** ، فلم يحفل النقد العربي بالمكان كعنصر ضروري وأساسي من عناصر البناء الفني إلا في القرن العشرين، وأول بوادر الاهتمام به بدأت مع ترجمة "**غالب هلسا**" كتاب –**شعرية الفضاء**–" **لغاستون باشلار**"، تحت عنوان: «**جماليات المكان**"، **يقول** "**غالب هلسا**"في مقدمته لكتاب "**باشلار**" :"**إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته**".[1]

فالمكان الروائي أصبح عنصرا أساسيا من عناصر العمل الفني، ويشكل بعدا جماليا داخل الرواية:" **وبذلك يكون المكان الروائي هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها ببعض**".[2]

والناقد المغربي **حميد لحميداني** في كتابه– **بنية النص السردي**– يعرف المكان بأنه:" **العمود الفقري لأي نص، بدونه تسقط تلقائيا العناصر المشكلة له** ".[3]

ويوافق هذا الرأي **عبد الفتاح عثمان** الذي يعتبر المكان: "**كائنا حسيا يمارس حركته في الخطاب يؤثر ويتأثر بباقي المكونات الروائية خاصة الشخصيات**"[4].

فهذين القولين خير دليل على العلاقة الوطيدة بين مكونات السرد من مكان وزمان وشخصيات وحدث.

أما **محمد مفتاح** فيقول في تعريفه للمكان:"**إن الزمان بأنواعه المختلفة إطاره هو المكان الذي ينجز فيه، ولذلك فإنه لا مناص منه**"[5].

فالزمن عند **محمد مفتاح** من خلال هذا القول لا يتحقق إلا في إطار مكاني.

---

[1]-**غاستون باشلار،"جماليات المكان"**، تر:غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، بيروت(لبنان)ط2،1984،ص6.

[2]-**غالب هلسا،"المكان في الرواية العربية"**،دار ابن هاني، دمشق، ط1، 1989، ص9.

3-- **باديس فوغالي، "الزمان والمكان في الشعر الجاهلي"**، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط1 ، 2009، ص176.

4- **الشريف حبيلة، "بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني"**، عالم الكتب الحديث، أربد ، الاردن، ط1،2010، ص161.

[5]-**محمد مفتاح، " دينامية النص"**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص96.

**2-* أنواع المكان*

ينقسم المكان الروائي إلى:

2-1-المكان الهندسي:

وهو المكان الذي يحتل مساحة وله أبعاد هندسية، وهو:" **المكان الذي تعرض الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد، أي حين يتفكك المكان، ليتحول إلى مجموعة من السطوح والألوان والتفاصيل التي تلتقطها العين منفصلة، ولا تحاول أن تقيم منها مشهدا كليا. وكلما زدنا في إتقان المكان الهندسي، كلما حرمنا القارئ من استعمال خياله وحرمناه من الأماكن التي عاش فيها**"[1].

معناه أن **المكان الهندسي** هو المكان الذي تعرضه الرواية بدقة وحياد من خلال ابعاده الخارجية.

2-2-المكان المجازي:

" **قد يكون هذا المكان وصفا لحالة تمر بها إحدى الشخصيات الروائية، مثل الفقر والغنى والتباهي، ..حتى الروائح في مثل هذا المكان هي دلالات مديح أو هجاء.. ولهذا تكون صفات مثل هذا المكان من النوع الذي ندركه ذهنيا، ولكننا لا نعيشه.. إن الأحداث في مثل هذه الروايات كالمكان الروائي، لا تخاطب وعينا ولا تساعدنا على إعادة بناء تجربتنا**".[2]

فالمكان المجازي هو مكان متخيل يحضر في النص الروائي بدلالته الجمالية والفلسفية ، ليعطي للنص أبعادا أكثر مما يعطيها الواقع.

1-صبحية عودة زعرب، **كتاب غسان كنفاني**، "**جماليات السرد في الخطاب الروائي**"، دار مجدلاوي، عمان،ط1، 2006، ص97.

2-المرجع نفسه،ص96.

من خلال ما تم ذكره نخلص إلى القول أن المكان يعتبر مكونا أساسيا للنص الروائي، كما أنه أداة تزداد قيمته كلما تعدى مفهومه الهندسي، أي كونه مجرد مؤطر للأحداث إلى كونه مشارك فيها ومؤثر عليها، وناقل للفكرة بدلا عن الشخصية.

هذا فيما يخص مصطلح – المكان– ويوجد مصطلح آخر وهو – الفضاء–، هناك من يستعمل هذين المصطلحين كمترادفين لمعنى واحد وهناك من يرى أن لكل مصطلح معناه الخاص.

- فما هو مفهوم الفضاء؟

3-* مفهوم الفضاء*

يعد الفضاء أحد مكونات الرواية بالإضافة إلى باقي العناصر السردية الأخرى.

3-1-المفهوم اللغوي:

وردت عدة تعريفات ومفاهيم في المعاجم العربية لمصطلح الفضاء نذكر منها:

جاء في **لسان العرب** ل**ابن منظور**:

" **الفضاء المكان الواسع من الأرض، وفضا المكان وأفضى إذا اتسع: والفضاء: الخالي، الفارغ، الواسع من الأرض، والفضاء: الساحة وما اتسع من الأرض، جمعه أفضية**"[1].

وجاء في" **مقاييس اللغة**" **لابن فارس:**

"**الفاء والضاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على انفساح في شيء واتساع، من ذلك الفضاء: المكان الواسع**"[2].

وجاء في "**المعجم الوسيط**":

"**فضا: المكان :فضاءا، وفضوا: اتسع وخلا. والفضاء: ما اتسع من الأرض، والخالي منها،ج أفضية**"[3].

فالتعريفات السابقة نجدها تلتقي كلها في نقطة مشتركة ألا وهي أن الفضاء يحمل معنى **الاتساع والفراغ.**

1-**ابن منظور، "لسان العرب"**، مجلد11،دار صادر، بيروت، ط1، 1990،ص195.

2-**إبن فارس، "مقاييس اللغة"**، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،المجلد الأول، بيروت-لبنان-ط2، 2008،ص357.

3- **ابراهيم مصطفى وآخرون، "معجم الوسيط"**، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ج1،ج2، اسطنبول،تركيا،ط1، 1972،ص693-694.

3-2-المفهوم الاصطلاحي:

يعد عنصر الفضاء من أهم وأبرز العناصر دراسة من طرف النقاد الغرب، فمثلا "**جوليا كريستيفا**" **Julia Kristeiva** تقول: "**الفضاء الروائي المؤطر من طرف الكاتب يشيد منصة عرض يتأملها مثل الجمهور**"[1].

معناه أن الفضاء هو رؤية تقدم فيها المشاهد المختلفة، وفق منظور خاص يعمل فيه الكاتب على إحداث التأثيرات على المتلقي.

ويقول **جيرار جنيت** " **G.Gentte**" : "**إن الصورة هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشكل الذي تهب اللغة نفسها لها، بل إنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى**" [2].

فأفضية النصوص تنتج دلالات متنوعة وتعتمد على اللغة لتشكيل سياقات تعبيرية لها علاقة بالمعنى.

أما بالنسبة للنقاد العرب، فنجد مثلا **حميد لحميداني** يرى بأن: " **الفضاء في الرواية يفوق كثيرا مجرد إشارة إلى مكان، إنه يشكل بمفهوم نظرية فلسفية داخل النص الروائي**"[3].

فالفضاء ليس مجرد إشارة للمكان في الرواية، وإنما يشكل نظرة فلسفية يحملها الروائي ويجسدها داخل عمله.

أما **حسن بحراوي** فيؤكد على أن:"**الزمن هو الفاعل الرئسي في السرد إذا كانت الرواية فنا زمنيا ، فإنها قبل أن تكون كذلك هي فن فضائي**"[4].

1-**جوزيف إ.كيسنر، "شعرية الفضاء الروائي**«،تر: لحسن أحمامة، افريقيا الشرق، المغربط1،2002،ص186.

2-**جنيت كولند ستين وآخرون، الفضاء الروائي**، تر: عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2002،ص41.

3-**حميد لحميداني، "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي"**، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار البيضاء، ط2،1993، ص63.

4-**حسن بحراوي،" بنية الشكل الروائي"**،ص20.

إذن فالفضاء بنية أساسية وضرورية لا غنى عنها في الرواية" **فكل المكونات الروائية تشكل داخل الفضاء، فهو الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتحلل الأوضاع وتجسد في الوقت ذاته رؤية الكاتب**"[1].

فهذا القول يجسد العلاقة الوطيدة التي تربط الفضاء مع باقي المكونات السردية.

نخلص إلى أن الفضاء مكون أساسي وعنصر ضروري في العمل الفني الروائي، فهو دائم الحضور باعتباره الأساس الذي ترتكز عليه بقية عناصر الرواية.

والفضاء أنواع وأشكال.

1-**ضياء غني لفته،عواد كاظم لفته،"سردية النص الأدبي"**دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001،ص28.

4- *أنواع الفضاء*

يشغل الفضاء مكانة مهمة بين مكونات الرواية، وتزداد أهميته من خلال تعدد أشكاله التي يظهر بها .

ومن أنواعه:

4-1-الفضاء الجغرافي: "L'Espace Géographique" وهو "الحيز المكاني في الرواية أو الحكي"[1]

فهو- أي الفضاء الجغرافي- مقابل لمفهوم المكان في العمل الحكائي، وهو الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال.

والفضاء الجغرافي " **له دورا أساسيا في تشكيل النص الروائي سواء كان هذا المكان طبيعيا أم خياليا، أي أنه ناتج عن توظيف الخيال**"[2].

فهو كنقطة انطلاق يعطي إشارات جغرافية ، ويترك المجال لخيال القارئ لرسم صورة له، وهناك من يرى إمكانية دراسته في الرواية مستقلا عن المضمون، تماما كما يفعل الاختصاصيون في دراسة الفضاء الحضري فلا يهمهم ساكن هذه البنايات وما سيحدث فيها بل تهمهم بنية الفضاء فقط[3].

4-2-الفضاء النصي:L'espace Textuel

هو فضاء مكاني يقصد به: " **الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق**"[4].

---

[1]-**حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" ،ص**53.

2-**محمد زغلول، "دراسات في القصة العربية الحديثة بين الواقعية والالتزام"**، دار العربية نشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ط1، 1987،ص6"

[3]**حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي"ص 53-54.** -

[4]-المرجع نفسه، ص61.

حيث يشمل مجموعة من التقنيات" **طريقة تصميم الغلاف، ووضع المطالع، وتنظيم الفصول، وتشكيل العناوين**"[1].

فالفضاء النصي إذن هو الحيز أو المكان الذي تحتله الكتابة على سطح الورقة.

4-3-الفضاء الدلالي:Espace Sémantique

لاتقوم لغة الأدب بوظيفتها بطريقة بسيطة إلا نادرا، فليس للتعبير الأدبي معنى واحدا، ذلك أنه لا ينقطع عن التضاعف والتعدد، إذ يمكن لكلمة واحدة أن تحمل معنيين، وهذا ما يعنى به في البلاغة العربية، فالمعنى الأول حقيقي والمعنى الثاني مجازي، " **فالفضاء الدلالي يتأسس بين المدلول المجازي، والمدلول الحقيقي، وهذا الفضاء من شانه أن يلغي الوجود الوحيد للإمتداد الخطي للخطاب**"[2].

فالفضاء الدلالي عند **جيرار جنيت** "**G.Genette**" " **ليس شيئا آخر سوى ما ندعوه عادة صورة Figure**"[3].

حيث يرى أن" **الصورة في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له، بل إنها رمزية فضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى**"[4].

فمن خلال هذه الأقوال نجد أن **الفضاء الدلالي** – من خلال تسميته- ليس بفضاء ملموس أي ليست له مساحة في الواقع، كما أنه يشير إلى تلك الصورة التي تكونها وتشكلها اللغة.

---

[1]-**حميد لحميداني ،بنية النص السردي**،ص55.
[2]-المرجع نفسه، ص60-61.
[3]-المرجع نفسه،ص61.
[4]-المرجع نفسه، ص61.

4-4-الفضاء كمنظور أو كرؤية:

وهي الطريقة التي يهيمن ويسيطر فيها الكاتب على الفن الحكائي، أي" **يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح**"[1].

كذلك "**جوليا كريستيفا**" تشبه الرواية بالواجهة المسرحية، وكأن العالم الروائي يبدو مشدودا إلى محركات خفية يحركها ويسيرها الراوي وفق خطة مرسومة ، وما تتحدث عنه "**كرسيتيفا**" يشبه إلى حد بعيد بما يسمى ب "**زاوية رؤية الراوي**" وهو مبحث يتعلق بموضوع السرد[2].

[1]- **حميد لحميداني، بنية النص السردي ،ص62.**

[2]-المرجع نفسه ، ص61.

5-* الفرق بين الفضاء والمكان*

من الصعب التمييز والتفريق بشكل دقيق بين **الفضاء والمكان** ، لأنه غالبا ما تكون الأمكنة في الرواية متعددة، أما الفضاء فهو الذي يلف هذه الأمكنة جميعا، فالأحداث الروائية تجري في عدة أماكن المنزل،الشارع ...وكل مكان من هذه الأمكنة يعتبر محددا، ولكن عندما تشمل الرواية كل هذه الأمكنة فعندئذ يتشكل **الفضاء.**

"**الفضاء أعم من المكان، لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي.. يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدد والمجسد لمعانقة التخييلي والذهني، ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء**"[1].

إذن الفضاء أوسع وأشمل من المكان، وهذا الأخير جزء من الأول وهما متصلان ببعضهما البعض، فالفضاء كل متكامل، أما المكان فهو جزء من الكل.

كذلك نجد في هذا القول أن المكان يتميز بالمحدودية وأنه ملموس واقعي، عكس الفضاء الذي يتجاوز الحدود ويتميز بأنه معنوي تخييلي " **يبقى الفضاء مرتبطا بشيء وهمي مطلق رمزي**"[2].

كما لا نستطيع تحديد ملامح الفضاء بدقة لأنه رمزي يختلف تأويله من شخص لآخر.

ف" **الفضاء من وجهة نظر فلسفية سابق للأمكنة أي له أسبقية**"[3].

فالفرق إذن محسوم بينهما، فالمكان ما هو إلا جزء من الفضاء لأن " **الفضاء لا يقتصر على مجموعة من الأمكنة، بل يتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة، والشخصيات والحوادث**"[4].

وعليه فالفضاء يلف ويشمل كل عناصر الرواية.

1-**سعيد يقطين، قال الراوي**،"**البنيات المكانية في السير الشعبية**"، **المركز الثقافي العربي**ط1،ص240.

2-**نصيرة زوزو، "إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، **العدد السادس**، 2010،ص35.

3-**حسن نجمي،" شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية**"، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت،ط1، 2000،ص45.-

4-**أسماء أحمد معيكل، " الأصالة والتغريب في الرواية العربية", روايات حيدر حيدر نموذجا، دراسة تطبيقية, عالم الكتب الحديث**، أربد ، الأردن، ط1، 2011، ص318.

ومهما كثرت وتنوعت الآراء حول الفضاء والمكان فسيظلان يشكلان معنى متكاملا، إذ لا يمكن للمكان أن ينفصل عن الفضاء، ولا يمكن للفضاء أن يقوم دون وجود مجموعة أمكنة.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: أنواع المكان في روايتي "الزلزال" و"ذاكرة الجسد"

أولا: الأمكنة المفتوحة:

1 . مدينة قسنطينة

2. الجسور

3. المساجد

4. الشوارع

5. المقبرة والأضرحة والزوايا

6. المقهى

ثانيا: الأمكنة المغلقة:

1-البيت

2-السجن

***أنواع المكان في روايتي . الزلزال . و . ذاكرة الجسد .**

المكان بنية لا يمكن الاستغناء عنها في الرواية ، ونظرا لأهميته فقد " **اهتم السيميائيون بدراسة المكان اهتماما شديدا ، وجعلوه من العلامات التي ينبغي أن ينظر إلى تفاعلها بالأركان السردية الأخرى من زمن وأشخاص**"[1]

وهو الذي تدور فيه الأحداث " **وتتحرك فيه الشخصيات، فكل حدث لا بد له من مكان خاص يقع فيه**"[2]

فنجد أن اختلاف الأمكنة من حيث طابعها تخضع لمعايير مرتبطة بالانغلاق والانفتاح، وبالتالي يمكن تقسيم الأمكنة إلى أماكن **مفتوحة** وأماكن **مغلقة**

أولا: الأمكنة المفتوحة:

هي الأمكنة التي تمتاز بالانفتاح والاتساع وتوحي"...**بالتحرر، ويرتبط المكان المفتوح بالمكان المغلق ارتباطا وثيقا، ولعل حلقة الوصل بينهما هي الانسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح توافقا مع طبيعته الراغبة دائما في الانطلاق والتحرر،وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح**"[3]

فهو المكان الذي يمنح الانسان القدرة على الانتقال والتحرك دون قيود.

فالمكان المفتوح هو " **الحيز المكاني الذي يحتضن نوعيات مختلفة من البشر وأشكال متنوعة من الأحداث الروائية**"[4]

---

1. إبراهيم محمود خليل، **"النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك"**، دار المسرة للنشر، عمان،ط1، 2003، ص184.

2. هيام شعبان، **"السرد الروائي في أعمال ابراهيم نصر الله"**، دار الكندي، إربد الأردن،ط1، 2004، ص277.

3. **حفيظة أحمد، "بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية"**، دراسة نقدية، منشورات أوغاريت، رام الله ، فلسطين، ط1، 2008، ص180.

4. **عبد الحميد بورايو، "مغلق السرد"**، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، منشورات السهل، الجزائر،ط1، 1998، ص166.

وتتجلى هذه الأمكنة في الروايتين كما يلي:

1 . مدينة قسنطينة:

المدينة حيز مكاني مفتوح لقي اهتماما كبيرا من طرف الروائيين " **فلم يعد مجرد مكان للأحداث ، بل استحالت موضوعا خاصة مع تنامي العوامل الداخلية والخارجية ، فمن الناحية الاجتماعية تعد ذات كثافة سكانية.. ومن ناحية أخرى أصبحت المدينة ملتقى التيارات الفكرية..وهذا ما جعل الكاتب ينتقل بها من مجرد مكان إلى موضوع خصب يثري الرواية**"[1]

فقد جاء ذكر مدينة قسنطينة من البداية إلى النهاية في كلتا الروايتين، فأصبحت هي الموضوع الرئيس.

" **ضاقت المدينة، ياربي سيدي ضاقت، خمسمائة ألف ساكن، عوض مائة و خمسين ألفا في عهد الاستعمار، نصف مليون ياربي سيدي. نصف مليون برمته. بطمه وطميمه فوق هذه الصخرة، تركوا قراهم وبواديهم، واقتحموا المدينة، يملأونها حتى لم سبق فيها متنفس.حتى الهواء امتصوه، ولم يتركوا في الجو إلا رائحة آباطهم**"[2].

هذا المقطع ورد في .**الزلزال** . يصف تذمر بو الأرواح من الكثافة السكانية للمدينة لدرجة أنه أصبح يصعب عليه التنفس ، وذلك بسبب هجرة أبناء القرى والمداشر إليها وتركهم لقراهم، وأنهم قد لوثوا جو المدينة برائحة آباطهم، فهذا الاكتظاظ الذي تشهده المدينة جاء نتيجة مخطط جهنمي من الحكومة غايته تهجير سكان القرى والمداشر إلى المدينة حتى لا يطالبوا بأحقيتهم في امتلاك الأراضي، حتى لو كان هذا المخطط سيخلق مشاكل داخل المجتمع وسيدفع ثمن هذه المشاكل الإنسان البسيط الذي يحيا حياة البؤس والفقر، وفي هذه الحالة ستكون المدينة بيئة مواتية لظهور الآفات الاجتماعية وانتشارها.

---

[1]. **الشريف حبيلة، "بنية الخطاب الروائي"، دراسات في روايات نجيب الكيلاني، الأردن،ط1، 2008، ص256.**

[2]- **الزلزال**، ص8 ـ ص9.

"**الهواء خانق وسط المدينة، ثم هذا الخلق لا ينقطع عن الذهاب والمجيء، لولا المسألة الهامة التي جئت من أجلها لغادرت عالم الآخرة هذا حالا ودون تردد**"[1].

البطل يحس بالاختناق في فضاء يتميز بالانفتاح، يشعر بالضيق من كثرة السكان بسبب النزوح الريفي، فالإقطاعيون من مصلحتهم أن يهاجر أهل القرى للمدينة حتى لا يطالبوا بحقوقهم في أراضيهم.

كما أنه مستغرب حتى من ملامح الأشخاص الذين يجوبون المدينة"**الوجوه أيضا تتميز في قسنطينة، الملامح، تختلف من شخص لآخر، القامات كذلك. زمن الاستعمار، كانت ملامح عامة: أوروبية ،عربية أما الآن فلا. ملامح الشاوي الصاعد من عين البيضاءأو من عين مليلة، أو باتنة، أو خنشلة، أو شلغوم العيد، واضحة.. أوالزناتي، أو العزابي واضحة أيضا**"[2].

فهاهو بوالأرواح يقف مدهوشا مستغربا من التغيير الذي لحق المدينة، فالأشخاص الذين يجوبون شوارعها ملامحهم تغيرت عما كانت عليه في الماضي أثناء الاحتلال الفرنسي ، حيث كانت الملامح آنذاك : أوروبية وعربية ، أما الآن فقد تغيرت تلك الملامح وتنوعت واختلفت.

حتى الروائح في هذه المدينة تغيرت، ولأهمية هذه الحاسة نجد الروائي قد استهل روايته بقوله: " **حاسة الشم تطغى على باقي الحواس في قسنطينة، في كل خطوة، وفي كل التفاتة، وفي كل نفس، تبرز رائحة متميزة صارخة الشخصية**"[3].

وهو يجوب المدينة" **واجهته قافلة من الروائح، استنشق رائحة أدمغة مشوية، ثم رائحة قشور ثمر الصبار، ثم رائحة البول، ثم رائحة عقاقير كيميائية ، ثم رائحة عطر، ثم رائحة**

[1]. **الزلزال**، ص30.
[2]. **الرواية** ، ص10.
[3]. **الرواية**،ص9.

آباط، ثم رائحة أقدام نتنة"[1]، فبوالأرواح من خلال نقله لهذه الروائح فهو يعبر بطريقة غير مباشرة عن الوضع المزري والمتردي الذي آل إليه سكان المدينة، وبالتالي تقززه وتذمره من التغيير الذي لحق بالمدينة، فهذه الروائح تصدر عن أشخاص ينتمون إلى الطبقة الكادحة والدنيا.

"**هذا شارع فرنسا سابقا، يبتدئ حيث ينتهي شارع "كراما" حيث ثانوية" أومال" هنا كان الحب والغرام ، والمرح يشع من عيون الغادات الأوروبيات، والاسرائيليات، هنا ما كانت تنقطع روائح عطر الياسمين وعطر حلم الذهب وعطر اللبان**"[2].

فبوالأرواح يحن إلى فترة الاستعمار الفرنسي في هذا المقطع، في كلامه فرح وبهجة وهو يذكر كيف كان شارع فرنسا ويحن إلى رائحة عطر الياسمين الذي تضعه الأوروبيات اللواتي تنتمين إلى الطبقة الأرستقراطية، بطريقة أخرى، ومن خلال المقطعين السابقين نجد أن لكل طبقة رائحة تميزها.

اختلفت الملامح وتداخلت الروائح ففقدت بذلك قسنطينة تميزها وبهجتها ورقيها التي عرفت به إبان الاحتلال الفرنسي" **لم يبق من الحياة السابقة إلا الآثار...هدموا عالما وأقاموا آخر**"[3].

فالتغيرات التي حصلت في المدينة أرقت بوالأرواح وجعلته يحن لقسنطينة الأمس ، قسنطينة العراقة والأناقة والرقي.

وفي نص . **ذاكرة الجسد** . نجد حضورا متميزا لهذه المدينة، فها هو البطل يسترجع في ذاكرته صورة هذه المدينة المجاهدة، "**... كل شيء يستفزني الليلة... وأشعر أنني قد أكتب أخيرا شيئا مدهشا فما أوجع هذه الصدفة تعود بي، بعد كل هذه السنوات إلى هنا للمكان**

---

[1]. **الزلزال** ، ص70.
[2]. **الرواية**،ص33.
[3]. **الرواية**،ص39.

نفسه.. يستيقظ الماضي الليلة داخلي.. مربكا يستدرجني إلى دهاليز الذاكرة فأحاول أن أقاومه,,أغلق باب غرفتي وأشرع النافذة..أحاول أن أرى شيئا آخر غير نفسي ، وإذا النافذة تطل علي.. تمتد أمامي غابات الغار والبلوط، وتزحف نحوي قسنطينة ملتحفة ملاءتها القديمة، وكل تلك الأدغال والجروف والممرات السرية التي كنت يوما أعرفها، والتي كانت تحيط بهذه المدينة كحزام أمان، فتوصلك مسالكها المتشعبة وغاباتها الكثيفة إلى القواعد السرية للمجاهدين، وكأنها تشرح لك شجرة بعد شجرة ومغارة بعد أخرى أن كل الطرقات في هذه المدينة العربية العريقة تؤدي إلى الصمود، وأن كل الغابات والصخور هنا قد سبقتك في الانخراط في صفوف الثورة..فقد حكم عليها التاريخ، كما حكمت عليها الجغرافية ألا تستسلم..."[1].

فكل ما في المدينة من أشجار ووديان شارك في الثورة، وكانت مأوى للمجاهدين من جنود الاستعمار، فالبطل يعود بذاكرته ويصور لنا حال المدينة أثناء التواجد الاستعماري، وأن هذه الأدغال والجروف كانت ملاذهم والمكان الذي يشعرون فيه بالأمان.

خالد في هذا المقطع في حالة تواصل مع الماضي والتاريخ، هروبا من قسنطينة الحاضر التي أصبحت تستفزه.

والروائية وهي تصف هذه المدينة وصفتها بطريقة رمزية، فنجدها تأخذ صفة المرأة –البطلة حياة – تقول أحلام على لسان خالد: "**كنت أشهد تحولك التدريجي إلى مدينة تسكنين منذ الأزل...كنت أشهد تغيرك المفاجئ وأنت تأخذين يوما بعد يوم شكل أمي تزورين أوليائها، تتعطرين ببخورها.. تمشين وتدورين على جسورها، فأكاد أسمع وقع خلاخلك الذهبي في كهوف الذاكرة** "[2].

[1] ـ **ذاكرة الجسد**، ص30.
[2] ـ الرواية ،ص 160.

قسنطينة التي يتحدث عنها خالد هي تلك المرأة التي أحبها، ولشدة حبه لها جعلها تحمل ملامح المدينة، كما نلمس في كلامه حنينا إلى الماضي وإلى رائحة أمه.

كما أنها ترمز للوطن يقول خالد معاتبا حياة "**كيف يمكن أن تمرغي اسم والدك في مزبلة كهذه...أنت لست أمرأة فقط، أنت وطن، فهل لايهمك ما سيكتبه التاريخ يوما...**"[1].

فهذه المرأة لم تعد فقط تمثل صورة مدينة وتحمل ملامحها، بل أصبحت وطنا، تاريخا وحضارة يملأ هذه المدينة، فحياة هي قسنطينة وقسنطينة جزء من هذا الوطن "**كنت في النهاية كالوطن، كان كل شيء يؤدي إليك**"[2].

فقسنطينة لم تكن مجسدة بأبعادها الهندسية، وإنما كانت حاضرة بكل الصفات التي تميز البطلة حياة من ملامحها وثقافتها وحتى ملابسها والحلي التي كانت تتزين بها " **مددت نحوي يدك مصافحة وقلت بحرارة فاجأتني كنت أريد أن أهنئك على هذا المعرض... وقبل أن تصلني كلماتك...كان نظري قد توقف عند ذلك السوار الذي تلبسينه ونقشته المتميزة وتلك الخلاخل التي لا يخلو منها في الماضي جهاز عروس ولا معصم إمرأة من الشرق الجزائري** "[3].

تحضر مدينة قسنطينة في ذهنه من خلال الأساور والخلاخل التي كانت تلبسها نساء قسنطينة في الأفراح.

وفي موضع آخر تحدثنا الروائية على لسان البطل عن سكان قسنطينة وملامحهم " .. **حتى تلك الهيئة التي كانت سمة أهل قسنطينة، وذلك الشاش والبرنس المتألق بياضا، أصبح نادرا وباهتا اليوم. ربما كان أول ما لفت نظري ذلك الصباح، هو ذلك الزي الموحد لتلك المدينة كما تنام بحزن غامض، ذلك اللون القاتم التدرج والمشترك بين الجنسين.**

[1] ـ الرواية ، ص324.
[2] ـ الرواية ، ص28.
[3] ـ الرواية، ص61.

النساء ملفوفات بملاءتهن السوداء التي لا يبدو منها شيء سوى عيونهن والرجال في بدلاتهم الرمادية أو البنية التي لا تختلف عن لون بشرتهم.. والتي يبدون وكأنهم اشتروها جميعا عند خياط واحد، وقلما كان يبدو من بين الحشود نقطة ضوء أو لون زاه لفستان او لبدلة صيفية"[1].

من خلال هذا المقطع تظهر الملامح العامة للفضاء القسنطيني، فضاء قاتم شاحب وحزين، لا لون زاه فيه جميع الألوان سوداء أو رمادية.

تظهر المدينة بلون قاتم بسبب الملاءات السوداء التي تلتحفها النساء، وبسبب الملابس الرماية أو البنية، أصبح السواد هو السمة البارزة لهذه المدينة وهو إشارة إلى الحزن واليأس فلا يوجد مايسعد ويدخل البهجة إلى نفوس سكان قسنطينة، انعدمت الألوان الزاهية.

كما يشير البطل إلى ملاحظة مهمة وهي غياب اللباس التقليدي القسنطيني الذي كان يتسم به أهل قسنطينة الشاش والبرنس الناصع البياض، الذي أصبح نادرا لتخلي سكان قسنطينة عنه وتعويضه باللباس العصري العملي وباهتا لأن من تعودوا لبسه ليس لديهم البديل لتغييره فلكثرة لبسه وغسله صار باهتا.

قسنطينة الزمن الماضي غائبة تغيرت صورتها وملامح سكانها، وظهرت على السطح عادات لم تكن موجودة من قبل، وبالتالي غابت الهوية والثقافة والحضارة التي عرفت بها هذه المدينة، وبالتالي فقدت الذاكرة التي ضحى لأجلها الشهداء حتى تبقى للأجيال القادمة، ضاعت فأصبح من يتمسك بجزء من عاداته كأنه متمسك بذكرى من الماضي الراقي والجميل "**كنت تتأملين ذراعي الناقصة، وأتأمل سوارا بيدك، كان كلانا يحمل ذاكرته فوقه..**"[2]

[1] ـ **الرواية**،ص369.
[2] ـ **الرواية**، ص62.

فأصبحت مدينة قسنطينة ذات التاريخ الحضاري والثقافي والثوري العريق مجسدة في أشياء يحملها الأشخاص، تجسدت مع **حياة** في السوار ومع البطل **خالد** في يده المبتورة، فكلاهما يحمل جزءا من تاريخ وحضارة تلك المدينة.

شكلت مدينة قسنطينة الفضاء العام في كلتا الروايتين، ففي رواية . **الزلزال** . نقل لنا الراوي على لسان البطل حال المدينة وما آلت إليه على جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحدوث فجوة بين ما كانت عليه قسنطينة الأمس من عادات وتقاليد وأعراف وما وصلت إليه، وهذا ما ذكرته الروائية على لسان البطل **خالد بن طوبال**، كما نلمس في كلا النصين حنينا واشتياقا إلى قسنطينة الزمن الماضي مدينة الحضارة والثقافة والأصالة والتاريخ التي فقدت كثيرا من بريقها ومكانتها بتخليها عن عاداتها وتقاليدها.

2 . الجسور:

تعرف مدينة قسنطينة بأنها "**مدينة الجسور المعلقة**" ، ويرجع ذلك إلى كثرة جسورها والتي عددها سبعة.

فرواية . **الزلزال** . تتكون من سبعة فصول، كل فصل معنون باسم جسر من جسور قسنطينة: باب القنطرة، سيدي مسيد، سيدي راشد، مجاز الغنم، جسر المصعد، جسر الشياطين، جسر الهواء، فلا يمكن أن تتخيل مدينة قسنطينة دون جسورها، فالجسور بالنسبة لقسنطينة مثل الروح بالنسبة للجسد فهي " **رمز المعراج الذي سيؤدي بالشيخ بو الأرواح إلى التطهر من أفكاره** "[1].

فبوالأرواح كلما صعد إلى جسر من الجسور السبعة شعر بارتياح شديد، فكونه متواجد في مكان عالي ينمي عنده إحساسا بالتعالي على كل مشاعر القلق التي انتابته منذ وطئت قدماه هذه المدينة.

"... **ثم إله قسنطينة، الجسر المعلق، اهتز قلب الشيخ عبد المجيد بوالأرواح عندما لمح الجسر المعلق**"[2].

رؤية بوالأرواح للجسر فيها كثير من التقديس، يهتز قلبه كلما لمحت عيناه الجسر فهو لا يراه كما يراه الآخرون، للجسر في نفس بو الأرواح مكانة خاصة فهو يرمز للقوة " **في الأقصى يبدو جزء من جسر سيدي راشد، النائم فوق أقواس مضاعفة من الصخور والاسمنت المسلح، يتحدى العربات الضخمة والشاحنات الكبيرة مهما كان هول الزلزال، ومهما كانت قوته وعظمته فإن هذا الجسر لن ينكسر ، وسيظل جسرا... ولو ذهبت قواعده**"[3].

---

[1] ـ **الزلزال** ، ص78.
[2] ـ الرواية ، ص11.
[3] ـ الرواية ،ص127.

فدرجة تقديس بوالأرواح للجسر جعله يستصغر قوة الزلزال وعظمته وأنه لن يستطيع زحزحة الجسر مهما بلغ هوله لأنه مبني من الاسمنت المسلح والصخور.

كما يحمل الجسر معنى آخر في نفس بوالأرواح فهو ملاذه ومنجيه في حالة وقوع الزلزال " **من يكن فوق الجسر في حالة اهتزاز الصخرة، وتذاوب المدينة لكن حظه في النجاة كبير، لا ريب أن المولى بالتماس من سيدي راشد سيلهم كل عباده الصالحين إلى التواجد فوقه، سيجد كبار ملاك الأراضي وأصحاب المصانع، والتجار وأئمة المساجد أنفسهم فوق جسر سيدي راشد** "[1].

فلو وقع سيكون بمعزل عن أهواله، كما أنه سيحمل كبار ملاك الأراضي و أصحاب المصانع و التجار و أئمة المساجد ليحميهم من خطر الزلزال لأن سيدي راشد سيلتمس من الله الحماية و النجاة، كما أنه سيكون المخلص الذي سيخلص بوالأرواح من الهوس الذي أصابه بسبب التغييرات و التحولات التي أصابت مدينة قسنطينة و سكّانها فكان الحل بالنسبة له بأن يلقي نفسه من جسر الهواء، ليتم إنقاذه في آخر لحظة، فجسر الهواء كان هو نقطة التحول من أفكار قديمة سكنت رأس بوالأرواح لسنوات إلى أفكار جديدة.

و يحضر هذا الفضاء في رواية –**ذاكرة الجسد**– و قد استعملته الروائية بطريقته ذكية، حيث جعلته وسيلة للتعبير عن حالة البطل"**كان الجسر تعبيرا عن وضعي المعلق دائما ..**"[2]

فهذه الجسور المعلقة تجعل الشخصية بدورها معلقة بين العيش في الزمن الماضي و محاولة تقبل الزمن الحاضر، و معلقة بين حالة الحب المستحيل الذي يعيشه مع حياة التي تصغره بأكثر من عشرين سنة و محاولة منع نفسه عن ذلك، فأصبح الجسر مكانا نفسيا يعبر عن حالة خالد النفسية و حالته الوجدانية.

[1] ـ **الرواية** ، ص127ـ128.
[2] -**ذاكرة الجسد**، ص 217.

فقد حاول أن يستجمع قواه و يتعايش مع وضعه الجديد بعدما بترت يده فاتّجه إلى الرسم و كان أول ما رسمه جسرا " **لقد كنت أعتقد و أنا أرسم تلك الجسور أنني أرسمك، و لم أكن في الواقع أرسم سوى نفسي، كان الجسر تعبيرا عن وضعي المعلق دائما و منذ الأزل، كنت أعكس عليه قلقي و مخاوفي و دواري دون أن أدري و لهذا ربّما كان الجسر هو أول ما رسمت يوم فقدت ذراعي ..**"[1]

فصورة الجسر القوي الصّامد من الإسمنت المسلح و الصخور المتحمل و المواجه لكل ما يعترضه، كانت ساكنة في لاوعي البطل فكان هو أول ما رسمه ليستمد منه القوة فخالد يحس بأنه ليس له القدرة على تحمل وضعه فبرسمه له جعله يشعر بالراحة و بأن عبئا أزيل عن عاتقه فهو قد رمى عبئه على الجسر لأنه أقوى منه، فكان الجسر هو المخلص الذي سيخلصه من مشاعر الخوف و القلق التي كانت تنتابه.

و يصف لنا أحد الجسور " **كل شيء كان يبدو مسرعا على هذا الجسر، السيارات و العابرون و الطيور أيضا و كأن شيئا ما كان ينتظرهم في الطرف الآخر. ربما كان بعضهم يجهل وقتها أن الذي يبحث عنه، قد يكون تركه خلفه و أنه في الحقيقة، لا فرق بين طرفي الجسر، فالفرق الوحيد هو ما فوقه ... و ما تحته ...**"[2]

مدينة قسنطينة معروفة بحركة سكانها و سياراتها و شاحناتها التي لا تتوقف فهي مدينة نشيطة، و تعتبر الجسور فيها حلقة الوصل التي تربط أطراف المدينة بعضها ببعض، فالحياة مستمرة بمرور الزمن و كل شيء قد تغير في هذه المدينة إلّا الجسور لازالت ثابتة و صامدة أمام التغيرات التي شهدتها و تشهدها المدينة، و الحديث عن طرفي الجسر هو في الحقيقة الحديث عن الحياة الماضية قسنطينة الأمس، قسنطينة الحضارة و العراقة و الحياة الحاضرة قسنطينة الحاضر و المستقبل التي تتّجه بخطى ثابتة نحو التخلي عن هويتها و ذلك بتخليها عن عاداتها و تقاليدها.

[1]- الرواية، ص 238.
[2]-الرواية، ص 345.

شكلت الجسور في كلتا الروايتين مركز ثقل مستقطب لجميع الأحداث في الروايتين، فهي تمثل العمود الفقري لهذه المدينة كما أنها روح مدينة قسنطينة.

3-المساجد:

هي فضاء مفتوح للعبادة يجتمع فيه الناس لأداء الفريضة من أجل التقرب للخالق و طاعته، و المسجد فضاء مغلق هندسيا لكنه مفتوح نفسيا و معنويا، و يحظى هذا الفضاء بمكانة مهمة في نفوس المسلمين، فهي فضاء للترويح عن النفس و البوح بما في الصدور. في رواية –**الزلزال**– نجد حضورا مميزا لهذا الفضاء، و لم يكن ظهورها صدفة و إنما جاء متماشيا مع شخصية بو الأرواح الدينية ووفاءه للسلف الصالح و الأولياء الصالحين، فبوالأرواح يعود إلى هذه المدينة بعد فترة طويلة من الغياب ليتفاجأ بحالها و حال سكّانها " **عند مدخل الجامع الكبير، استرعى انتباه الشيخ عبد المجيد بو الأرواح من خلال وجود المتسولين و المتسولات، الذين يقفون في صف طويل، مع جانب الجدار المطلي بالأخضر الباهت. أمرا آخر، لم يعهده في المدينة** "[1].

فمن التغيرات التي شهدتها المدينة كثرة المتسوّلين و المتسوّلات خاصة عند مداخل المساجد لكسب أكبر قدر ممكن من الصدقات، فالمتسولين يلعبون على الوتر الحساس بتواجدهم في ذلك المكان فهم سيكسبون أكثر مما كانوا يتوقعونه، يقفون في صف طويل و كل متسول يسعى لجذب المتصدقين نحوه، و هذا الأمر لم يكن موجودا بهذا الشكل.

ورغم التغيير الذي طرأ على المدينة إلا أن المساجد لا تزال كما هي "**لم يبق من قسنطينة سوى المساجد و الزوايا و الأضرحة و الحمامات و أقران الأدمغة المشوية، حتى هذه الأشياء فقدت كلها محتواها، المساجد يؤذن فيها بالكهرباء، و بالأسطوانات، و بغير سرعتها**"[2].

فعبد المجيد بوالأرواح يأسف كثيرا للتطورات التي أحدثت على المساجد فأفرغت من محتواها، و كأن بوالأرواح بكلامه هذا رافضا للتطور العلمي و التكنولوجي أو لأنه متذمر

[1]- **الزلزال**، ص 10.
[2]-الرواية، ص 168.

من الحال الذي آلت إليه المدينة فجعله يحنّ إلى تلك البساطة التي يشعر فيها الإنسان بكثير من الألفة و الحميمية، فهو مكان مقدّس و يشعر فيه بوالأرواح بالطاقة الإيجابية.

كما يحضر هذا الفضاء في رواية –**ذاكرة الجسد**– فمدينة قسنطينة معروفة بكثرة مساجدها، تقول في أحد المقاطع "**الوطن كله ذاهب للصلاة. و المذياع يمجد أكل التفاحة، و أكثر من جهاز هوائي على السطوح، يقف مقابلا المآذن يرصد القنوات الأجنبية** "[1]

فهي تصوّر المجتمع القسنطيني بأنه مجتمع مسلم ملتزم بالصلاة، لأن الصلاة هي الصلة الروحية التي تربط الإنسان بخالقه، و ذهاب كل الوطن يحمل معنيين المعنى الأول هو اتفاق جميع الناس و تصالحهم فلا يوجد بينهم خلافات دينية أو طائفية و المعنى الثاني هو ذهابهم للصلاة لإزالة كل شعور يعكر صفو النفوس و التضرّع للّه ليعنيهم على مواجهة كل التحولات و التغييرات التي أصابت المدينة و سكانها، ففي حين هم في علاقة اتصال بخالقهم تقوم الصحون الهوائية المقابلة للمساجد بممارسة الهوى و هو أكبر مشكل تواجهه المدينة، فهذه الهوائيات أصبحت تقف ندا لنداء المساجد و المآذن، و كأن المدينة في حالة صراع بين الدّعوة إلى الله و المحافظة على قيم المجتمع القسنطيني التي بدأت في الزوال وبين مواكبة التطور التكنولوجي و الانصياع و اتّباع ما تبثه القنوات الأجنبية من برامج تتنافى مع قيم المجتمع القسنطيني المحافظ صاحب التاريخ الثقافي و الإسلامي العريق، و كأن هذه المدينة ترغبك بشيء ثم تمنعك عن القيام به، فهي **مدينة المتناقضات** .

يقول خالد في أحد المقاطع: "**و بينما أسحب نفسا من سيجارة أخيرة، يرتفع صوت المآذن معلنا صلاة الفجر .. و من غرفة بعيدة يأتي بكاء طفل أيقظ صوته أنحاء كل البيت .. فأحسد المآذن، و أحسد الأطفال الرضع**"[2].

[1]-**ذاكرة الجسد**، ص12.
[2]-الرواية، ص 28.

إن **خالد بن طوبال** يعاني من الأرق فهو لا ينام إلا بعد آذان الفجر، و أثناء تدخينه لآخر سيجارة يسمع صوت طفل يبكي آت من بعيد في نفس الوقت الذي رُفع فيه آذان صلاة الفجر، فهذان الصوتان لا يستطيع أحد إيقافهما لأي سبب من الأسباب فصوت المآذن سيظل يصدح في كل المدينة و كل مكان يوجد فيه مسلمون إلى أن تقوم الساعة، و الأمر نفسه مع بكاء الطفل فلا أحد يستطيع منعه عن البكاء أو أن يكتم صوته له الحرية في البكاء و الصراخ كيفما شاء و لا أحد يُسكته، فالبطل يعاني من ضيق و من كبت يريد البوح و الإفصاح عما يختلج صدره ليريح نفسه فيتمنى لو كان مكان أحدهما و لأن التمني هنا صعب فأصبح يحسدهما.

إن حضور الفضاء القسنطيني بمساجده و مآذنه و صلواته بارز في كلتا الروايتين، كما كان حديث الروائيين عاما عن المساجد لم يحددوا مسجدا بعينه، كما يظهر في النصين اللجوء إلى الدين و الصلاة كحل بديل للمشاكل و محاولة الترويح عن النفس.

4-الشوارع:

هي فضاء مفتوح و نظرا لأهميتها في تشكيل صورة المدينة فقد اهتمّ الروائيون بهذا الفضاء من خلال حضوره في أعمالهم الروائية إذ أن "**الأحياء و الشوارع تُعتبر أماكن انتقال نموذجية فهي التي ستشهد حركة الشخصيات و تشكل مسرحا لغدوها و رواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها**"[1]

إن شوارع قسنطينة تتّسم بسمات تظهر إحداها في هذا المقطع: "**.. وجوه الجالسين، و حتى المارين من السكان تحمل ملامح الشاوية، كيف استطاعوا أن يتخطوا الوادي و الجسور السبعة، و الأنهج، و الدروب الضيقة، و يصعدوا إلى القصبة**"[2]فمن خلال هذا المقطع نستخلص إحدى السمات تميز شوارع قسنطينة ألا و هي الضيق.

"**الدنيا تغلي، تموج، تغلي، تموج، أربعة شوارع كبرى تدفع، و تبتلع، الساحة تبتلع و تدفع، العربات هاربة، الصفوف الطويلة في انتظار الشاحنات**"[3].

فبالإضافة إلى الضيق تتّسم هذه الشوارع بالاكتظاظ، أي اكتظاظ المارة، و بطريقة أخرى كثرة سكّان هذه المدينة.

"**خرج من بين المقاعد و المناضد و وجد نفسه في ملتقى الطرق، على اليسار شارع زيروت يوسف، بعده شارع لا يدري عنوانه، بعده شارع التاسع عشر من ماي، نهج فرنسا السابق، بعده العربي بن مهيدي، ثم ساحة الشهداء، ثم التفرعات، و الانطلاقات، صعودا و هبوطا، يمينا و شمالا، و في كل الاتجاهات، أهمية الطرقات في قسنطينة أعظم من أهمية المباني و المساكن**"[4].

---

[1]-**حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 79.**
[2]-**الزلزال**، ص 39.
[3]-الرواية، ص 52.
[4]-الرواية، ص 69.

و هنا تظهر سمة أخرى تمتاز بها شوارع هذه المدينة و هي الكثرة و التفرع، فلو يكون الشخص غريبا عن هذا الفضاء حتما سيضيع في هذه المدينة، فالشارع في هذه المدينة هو المتنفس الوحيد للسكان للفرار من البيوت و الشقق التي يعيشون فيها و التي يعانون فيها من الضيق.

أمّا السّمة البارزة لهذه الشوارع هي تسميتها بأسماء بعض الشهداء و بعض الأحداث التاريخية مثل "العربي بن مهيدي"، "زيروت يوسف"، "19 ماي".

كذلك تمتاز شوارع هذه المدينة بكثرة الرّوائح القذرة "**روائح قوية، رائحة التعفن تقطع أوصال قلب المرء**"[1]، فرائحة التعفن تشكلت نتيجة ضيق الشوارع و كثرة المحلات من مطاعم و مقاهي إلى جانب المجاري المائية، فتمتزج الروائح مع بعضها البعض فتفوح روائح سيئة.

ولم يخلُ نص –**ذاكرة الجسد**– من هذا الفضاء، فالروائية تصف على لسان بطلها صورة شوارعها دون أن تركز على شارع بعينه، فكل الشوارع في هذه المدينة متشابهة و تتّسم بالاكتظاظ و الضيق و لا تتوقف فيها حركة المارة الذاهبين و الراجعين و كأن المارة يدورون في حلقة مفرغة "**و يزداد يأس خالد و إحباطه و خيبة أمله في هذه المدينة و في أفواج المارة الذين يجوبون الشوارع هكذا دون هدف محدّد**"[2] و خالد ينظر إلى هذا المشهد يحضره مشهد آخر "**ثم قادتني أفكاري إلى مشهد شاهدته يوما في تونس لجمل مغمض العينين، يدورون دون توقف في ساحة سيدي بوسعيد ليستخرج الماء من بئر أمام متعة السواح و دهشتهم. استوقفتني يومها عيونه التي وضعوا عليها غمامة ليتوهّم أنه يمشي إلى الأمام دائما و يموت دون أن يكشف أنه كان يدور في حلقة مفرغة .. و أنه قضى عمره دائرا حول نفسه. تُرانا أصبحنا ذلك الجمل الذي لا يكاد ينتهي من دورة حتى يبدأ أخرى تدور به بطريقة أو بأخرى حول همومه الصغيرة اليومية..**"[3].

[1]-الرواية، ص 22.
[2]-**ذاكرة الجسد**، ص 366.
[3]-الرواية، ص 367.

فخالد متذمّر من هذا السلوك الذي أصبح سمة بارزة تمتاز بها مدينة قسنطينة، و هو ينظر إلى أفواج المارة الذين يجوبون الشوارع تحضره صورة الجمل مغمض العينين الذي يدور دون توقف و يحسب أنه يسير إلى الأمام و هو لم يبتعد و لو خطوة عن تلك الحلقة، و هكذا همّ سكان قسنطينة في صعودهم و نزولهم على الشوارع يحسبون أنهم قد تقدّموا إلى الأمام و لكنّهم في الحقيقة لم يتزحزحوا من تلك الدائرة المُفرغة التي يتخبّطون فيها دون أن يعلموا، و في هذا المقطع نلمس في كلام خالد خيبة الأمل و الإحباط مما آل إليه أهل المدينة الذين أصبحوا يسيرون بلا هدف و كأنهم قد يئسوا من تغير أوضاعهم و استعادة هويتهم التي بدأت تُفقد.

إن وصف الروائيون لفضاء الشارع لم يكن وصفا دقيقا لشارع بعينه و إنما كان وصفا عاما لكل شوارع المدينة التي تتصف بعدة صفات منها الضيق و الاكتظاظ و الكثرة.

5-المقبرة و الأضرحة و الزوايا:

وهي أفضية مفتوحة. **فالمقبرة** خاتمة كل إنسان بعد حياة طويلة أو قصيرة، سعيدة أو حزينة، تثير في نفوسنا الرهبة و الخوف، و هي تعني "**الرجوع إلى الأصل و الامتزاج بالمكان و الذّوبان فيه**"[1].

في رواية –**الزلزال**– يحدّثنا الروائي على لسان البطل عما يفعله الناس عند زيارة المقابر "**في المقابر يضعون الماء فوق القبر، و يغرسون عند رأس الميت هذا النوار، هذه مقبرة واقفة، سيمددها سيدي راشد عما قريب، إن لم يقلبها رأسا على عقب**"[2].

فالشيخ بوالأرواح يصف لنا الطقوس التي يقوم بها الناس عند زيارتهم للمقابر، و في الثقافة الشعبية التي امتزجت فيها البدعة بالدين يقوم زوار المقابر برش القبور بالماء على أساس أن ذلك يفيد الميت و يخفف عنه العذاب و يزرعون عند رأس الميت أزهارا و هذا لا يجوز في الدّين، لأن المقابر أماكن عبرة و عظة، و ليست أماكن زينة و نزهة، أما بالنسبة لرشّ القبر بالماء فهذا الطقس لم يثبت عن **النبي –صلى الله عليه و سلّم**– و يقول أهل العلم أنه يُستحبّ رش القبر بالماء بعد الدّفن لأن الماء يساعد على تثبيت تراب القبر حتى لا تنسفه الرياح و هذا ما فعله **النبي –صلى الله عليه و سلّم**– عند دفنه لابنه إبراهيم.

وأثناء تواجد بو الأرواح في قسنطينة قام بزيارة مسجد سيدي راشد و صلى فيه ركعتين لكن ليس للعبادة و إنما للتبرّك بضريح سيدي راشد "... **ثم أنزل حتى ضريح سيدي راشد أحييه بركعتين**"[3].

---

[2]-**الأخضر بن السايح، سطوة المكان و شعرية القص في رواية ذاكرة الجسد، دراسة في تقنيات السرد، عالم الكتب** الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص 129.

[2]-**الزلزال**، ص 111.

[3]-الرواية ، ص 78.

صلّى فيه ليشكو حاله للولي الصالح و ما عاناه منذ وطئت قدماه هذه المدينة و ما أصابه من تعب في رحلة بحثه عن أقاربه الذي يريد أن يكتب لهم كل أملاكه حتى لا تأممها الدولة.

"**ما الذي أتى بي إلى هنا، ماذا أفعل؟ حقا أنا في حالة غير طبيعية تمتم الشيخ عبد المجيد بو الأرواح أمام باب قصر مطلي بالأخضر الداكن، جئت تصلي ركعتين في ضريح سيدي راشد، و منذ متى كنت تؤمن بالأضرحة و المقامات؟ ... إنها عبادة القبور بدعة أبدعها العوام**"[1].

فيظهر أن بوالأرواح كان يؤمن بالأولياء الصالحين و الزوايا غير أنه لا يُظهر ذلك، كما يتّضح أن هذه الأضرحة ليست للعبادة و إنما هي للتبرّك، فبالرغم من التغيير الذي طرأ على مدينة قسنطينة إلا أن الزوايا و الأضرحة مازالت كما هي "**لم يبق من قسنطينة سوى المساجد و الأضرحة**"[2].

فالمساجد و الزوايا و الأضرحة تعدّ فضاءات للشكوى و البوح و تفريغ مكنونات الصدر و للتبرّك.

"**زاوية سيدي عبد المؤمن هي ذي بطلائها الأخضر، لا تزال ما دامت هناك هذه البقايا، فإن الدنيا بخير، قلب المؤمن يكون مستريحا إنها أمارات أمل في الحياة**"[3].

فهي أفضية تبعث الرّاحة في النفوس.

كما تحضر هذه الأفضية في نص **–ذاكرة الجسد–** فها هي حياة تحكي على والدها قائلة: "**تصور أنه يوم كانت حبلى بأبي لم تفارق مزار سيدي محمد لغراب تبرّكا به ثم سمت عمي الشريف تبركا به أيضا ... بعدها عرفت أن نصف رجال تلك المدينة تبدأ**

[1]-**الزلزال**، ص 129.
[2]-الرواية ، ص 203.
[3]-الرواية، ص 116.

أسماؤهم هكذا ... و أن أهل تلك المدينة يولون اهتماما كبيرا للأسماء و أن معظمهم يحمل أسماء الأنبياء و الأولياء الصالحين"[1].

في قسنطينة تُعطَى عناية خاصّة لأضرحة الأولياء، و يزور الناس هذه الأضرحة للتّبرك بالأولياء الصالحين، و هي أماكن مقدّسة يكنّ لها الناس الاحترام و تحظى بمكانة خاصّة في قلوبهم، فهم يقصدونها لأنهم يظنّون بأنها تلبّي طلباتهم و تحقّق رغباتهم و حاجاتهم، فيذهب إليها كل من لديه أمنية أو طلب لم يتحقق.

و يصل خالد إلى حالة من اليأس لا يجد من يسمعه إلا أولياء قسنطينة "**سلاما يا سيدي راشد ... سلاما يا سيدي مبروك ... يا سيدي محمد الغراب ... يا سيدي سليمان ... يا سيدي بوعنابة ... يا سيدي عبد المؤمن ... يا سيدي مسيد ...ياسيدي بوعزة ... يا سيدي جليس ... سلاما يا من تحكمون شوارع هذه المدينة و ذاكرتها. قفوا معي يا أولياء الله ... متعب أنا الليلة ... فلا تتخلّوا عني ...**"[2].

فبعدما علم خالد بخبر خطبة حياة إلى أحد الضباط شعر بيأس كبير يسكن صدره فهو صديق درب والدها و المحب الولهان لامرأة تمثّل عنده وطنا، هو أولى الناس بها و لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فلدرجة حزنه و يأسه لم يجد من يسمعه سوى أولياء قسنطينة استنجد بهم و صار ينادي كل واحد باسمه حتى يساعدوه في محنته التي يمر بها بعد أن أغلقت كل الأبواب في وجهه و لم يجد معينا إلا هؤلاء الأولياء الصالحين، فخالد يشعر بخيبة أمل كبيرة جعلته يدعوهم دعوة رجاء بأن يساعدوه و يقفوا معه، فالأولياء الصالحون يحضون بمكانة خاصة في قلوب الناس، و في قلب خالد فعندما ضاقت به الدنيا و اسودّت من حوله لجأ إليهم فكانوا ملاذَه الوحيد.

[1]-**ذاكرة الجسد**، ص 126.
[2]**الرواية** ، ص 431.

إن امتزاج الخرافة و البدعة بالدين ولد في الثقافة الشعبية ممارسات أصبحت تمارس من قبل الناس على أنها طقوس مقدّسة، و أصبح كل من يعترضه شيء في حياته أولا تحقق له أمنية قد تمنّاها يتوجه مباشرة نحو هذه الأضرحة للتبرّك و التّمني، و هذا ما وجدناه في كلا النصين.

6-المقهى:

المقهى مكان مفتوح مرتبط بفضاء المدينة و هو "**مسرح الحياة الشعبية، و هو مكان للترويح و التفريج عن النفس التي ضاقت بالحاضر و همومه و أغلاله الاجتماعية و السياسية و الفكرية**"[1].

هو مكان يتجمّع فيه الناس للهروب من الواقع و تفريغ الهموم، يلتقي فيه الناس بمختلف أعمارهم و مستوياتهم الاجتماعية و العلمية، لتجاذب أطراف الحديث في مختلف المجالات السياسية و الاجتماعية و الثقافية ...

ففي رواية –**الزلزال**– لا يظهر هذا الفضاء كمكان للممارسات المشبوهة "**مقهى البهجة كان في ذاكم الزمن وكرا للمثقفين من كامل العمالة، لا يشعر الغريب الذي يدخله إلا و النادل يقف عند رأسه هامسا ثمن مشروبك مدفوع. و من دفعه؟ قسنطيني حر يأبى أن يعلن عن نفسه**"[2].

فهذه هي صورة المقهى أثناء التواجد الفرنسي، قدمه الكاتب على أنه فضاء يأوي المثقفين من كامل العمالة، و بعد اندلاع الثورة التحريرية و تحقيق الاستقلال و بعد سنوات من ذلك يعود بوالأرواح إلى قسنطينة بحثا عن أقربائه فيفاجأ بالتغيير الذي طرأ على المدينة، حتى على مقهى البهجة "**و الآن؟ ! لا حول و لا قوة إلا بالله .. اللافتة لا تزال تعلن (البهجة)، و الطلاء متحلل، و دقات الحجر تنبعث من الداخل قوية بدل صوت فريد الأطرش المنساب**"[3].

فالمقهى فقد بهجته و لم يبق منها سوى تلك اللافتة المعلقة على مدخل الباب، و علامات القِدم و الخراب و الطلاء المتحلل تعلن عن نفسها، و زمن الاستعمار كانت تنبعث من

1-**شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1994، ص 222.
2-**الزلزال**، ص 29-30.
3**الرواية** ، ص 39.

المقهى الموسيقى الرّاقية و أجمل الألحان، أما الآن فقد غابت تلك المظاهر و حلت محلّها دقات الدومينو، و كأن بالكاتب يعقد مقارنة بين كيف كان المقهى أثناء الاحتلال و كيف أصبح بعد الاستقلال، فهو يحنّ إلى قسنطينة الماضي قسنطينة الرقي و الثقافة و البرجوازية، فهو لم يؤثر فيه حال المكان بقدر ما أثر فيه ذهاب الماضي الذي صنع رقي و تألّق المكان.

و الأمر نفسه في رواية –**ذاكرة الجسد**– فقد قدّمت الروائية الصورة نفسها، فالمقاهي في عهد الاستعمار كانت فضاء للطبقة البرجوازية و المثقفة "**في ذلك الزمن كان لابن باديس المقهى الذي يتوقف عنده في طريقه إلى المدرسة كان اسمه مقهى بن يمينة. و كان هناك مقهى بوعرعور حيث كان مجلس بلعطار و بشتارزي و حيث كنت ألمح أبي أحيانا و أنا أمرّ بهذا الطريق. أين ذلك المقهى لأحتسي فيه هذا الصباح فنجان قهوة نخب ذكراه ...**"[1]

من خلال هذا المقطع نحسّ أن خالد لديه حنين و شوق إلى ذلك المقهى الذي كان يجلس فيه كبار العلماء و المفكّرين و المثقّفين، كما يصوّر لنا حال المقاهي في الحقبة الاستعمارية كانت مكانا للشخصيات المثقفة و البرجوازية. فتلك التغييرات التي أصابت المدينة، لم تسلم منها حتى المقاهي.

[1] **ذاكرة الجسد**، ص 368.

ثانيا: الأمكنة المغلقة:

هي الأمكنة المحددة جغرافيا، أي لها حدود و "**تؤدي دورا محوريا في الرواية لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية، و تتفاعل مع هذه الأمكنة بإيجابياتها و سلبياتها، فالأماكن المغلقة أو المنغلقة ماديا و اجتماعيا تولد المشاعر المتناقضة و المتضاربة في النفس، تخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات و المواقع**"[1].

فالأماكن المغلقة لها دور في تشكيل الشخصية داخل العمل الروائي، و هذه الأماكن تخلق في الإنسان أحاسيس و مشاعر متداخلة من آلام و آمال، و خوف و أمان.

كما يقصد بها "**الأماكن المغلقة هندسيا و معماريا على الرغم من ذلك نركز على الجانب الدّلالي .. أي مدى تفاعل و علاقة الشخصية به. فالمكان المغلق هو المحدد بحدود ثابتة لا يتجاوزها .. فيكون هذا المكان مرآة تعكس حياة الشخصية التي تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط به**"[2].

فالمكان المغلق مكان محدد له أبعاد هندسية: طول، عرض، ارتفاع، مساحة، و هذا المكان يكون بمثابة مرآة عاكسة للشخصية الروائية، فمن خلال هذه الأماكن نتعرّف على الشخصية بأبعادها المختلفة نفسيا و اجتماعيا ...

[1]- **حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، دراسة نقدية**، منشورات أوغاريت، رام الله، فلسطين، ط1، 2008، ص134.
[2]- **عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، دراسة في ضوء منهجي بروب و غريماس، عالم الكتب** الحديث، **العراق**،ط1، 2011، ص 180.

1-البيت:

هو فضاء مهم في حياة الإنسان، إنه "**ركن في العالم، إنه كما قيل مرارا كوننا الأول، كون حقيقي لكل ما للكلمة من معنى**"[1].

فالبيت مكان مهم عند الإنسان فهو عالمه و موطنه الأول، و بما أنه مكان مغلق فإنه يعني مزيدا من الطّمأنينة و الحرية، أي أن الإنسان يمارس فيه حريته كيفما يشاء و يتصرف على طبيعته و سجيّته.

ففي رواية –**الزلزال**– لا نجد هذا الفضاء، على الرغم من أن هذه الرواية رواية مكانية بامتياز، يقول وطّار: "... **أطوف في الأزقّة، و الأنهج، و حتى ما إذا أردت الاستراحة في مكان ما، فلن يكون غير المقهى، و الساحة العمومية، نعم، لم أدخل دارا واحدة في قسنطينة الكبيرة، و العريضة و الطويلة مع أنني طفت بها كلها، إن سبب ذلك واضح، فأنا لا يمكن لي أن أقتحم عالما مُغلقا دوني بحكم أنني لست منه**"[2].

هذا الفضاء لا يمثل لوطّار مكان راحة و طمأنينة، بل هو يفضل الأمكنة المفتوحة (الأزقّة، الأنهج، المقاهي، ...)، فهو يحسّ بعدم الانتماء لهذا الفضاء و أنه ليس جزءا منه.

أما في نص –**ذاكرة الجسد**– يظهر هذا الفضاء في بعض المقاطع فقد جعلت الروائية بطلها خالد يعيش في بيت في أحد أرقى أحياء باريس و قد كان بيته مطلا على نهر "السين"، كما كان فضاءً للإبداع ففيه رسم خالد أجمل لوحاته، إلا أنه لم يكن يشعر بالراحة و الأمان والإستقرار النفسي فراح يبحث عن بدائل فتعرف بكاترين و أصبحا على علاقة، إلا أن ذلك لم يحسسه بالراحة فكان دائم القلق و التوتر، إلا إذا عاد صديقه زياد للبيت إستعاد نوعا من استقراره.

---

[3]-**غاستون باشلار، جماليات المكان** ، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 36.

[3]-**سعيدة بن بوزة، بنية المكان في روايات الطاهر وطار**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، باتنة، 2000-2001، ص 52.

و يحسّ بألفة في هذا الفضاء عندما يكون في بيت العائلة في قسنطينة، فعلاقة خالد به علاقة حميمية خاصة بعدما خسر حياة التي ستتزوج ضابطا و موت أخيه حسان الذي اغتيل في مظاهرات 1988، فأصبحت هناك ألفة بينه و بين البيت.

المُلاحظ أن الروائية لم تصفه وصفا بأبعاده الهندسيّة، لكنّها لمّحت إلى أنه واسع و فيه غرف كثيرة "**تمنّيت لو طلبت من عتيقة أن تضع لي في المستقبل فراشا على الأرض، تماما كما تفعل مع أولادها الذين ينامون في الغرف الأخرى على فراش أرضي مشترك يوحي بالدّفء**"[1].

فمن خلال هذا المقطع نلمس من خلال حديث خالد أن البيت واسع و فيه كثير من الغرف.

[1]-**ذاكرة الجسد**، ص 299.

2-السّجن -سجن الكديا-

هو مكان مُغلق يحمل دلالات سلبية، فهو مصدر الخوف و هو "**مكان تحبس فيه حريات النّاس بغض النظر عن أصنافهم و أسباب حبس حرياتهم، فهو مكان له حدود و حواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه، إلا بتحطيم هذه الحدود و الحواجز**"[1].

فإذا كان الإنسان يقيم في البيت بمحض إرادته، فهناك مكان آخر يقيم فيه مجبرا ألا و هو السجن، وهذا الأخير هو نقطة انتقال و تحوّل من المفتوح إلى المغلق، فهو مكان يعيق حرّية الإنسان.

في رواية **-الزلزال-** نجد غيابا تاما لهذا الفضاء فوطّار لم يوظفه في نصّه، أما مستغانمي في نصّها **-ذاكرة الجسد-** قامت بتوظيف هذا الفضاء، يظهر من خلال مقابلة خالد لسي الطاهر والد حياة في سجن الكديا"**في سجن الكديا كان موعدي النضالي الأوّل مع سي الطاهر. كان موعدا مشحونا بالأحاسيس المتطرّفة، و بدهشة الاعتقال الأول**"[2]. يتحدّث خالد عن اعتقاله الأول و مقابلته لسي الطاهر، و كان دخوله للسجن في سن مبكّرة و تعلّمه على يدي سي الطاهر أساليب النّضال و الكفاح من أجل تحرير الوطن.

الملاحظ أن الكاتبة لم تقم بوصفه وصفا هندسيا شأنه في ذلك شأن البيت، و إنما اكتفت بنقل الأحداث التي جرت فيه.

[1]-**حنان محمد موسى خليل، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، جدار للكتاب العالمي للنشر، عمان،ط1، 2006،** ص 100.
[2]-**ذاكرة الجسد**، ص 30.

من خلال ما سبق، و بعد هذه الرحلة بين أمكنة روايتي –**الزلزال**– و –**ذاكرة الجسد**– بنوعيها المفتوحة و المغلقة، نجد أن الأمكنة المفتوحة كانت لها حصّة الأسد في كلا النصّين و قد شكّلت مع مدينة قسنطينة الفضاء العام للروايتين، فكانت الجسور و المساجد و الأضرحة بطاقة هوية للمدينة و للمكان و تشكّل العمود الفقري لها، و تمثّل مركز ثقل مستقطب لأحداث الروايتين، التي تشترك في نقاط كثيرة أبرزها الحنين و الشوق لقسنطينة الأمس، قسنطينة العراقة و الأصالة، و الثقافة، و التشبثبالعادات و التقاليد، و بالتالي التّمسك بالهوية و الانتماء.

الخاتمة

يعد المكان مكونا هاما من مكونات الرواية ، فلم يعد مجرد مؤطر للأحداث أي مسرحا تجري فيه الأحداث ، بل أصبح شخصية من شخصيات الرواية له أبعاد نفسية .

و من خلال استقرائنا لهذين الروايتين توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها :

*بنية المكان في الروايتين عبارة عن تشكلات مكانية من أماكن مفتوحة و أخرى مغلقة .

*حضور المكان في الروايتين يفتقر إلى وصف أبعاده الهندسية أو الجغرافية .

*عنصر المكان ضمن هاتين الروايتين انسجامها و تماسكها من خلال تفاعله مع المكونات السردية من شخصيات و أحداث .

*وصف الأمكنة في الروايتين لم يحمل فقط وظيفة تزيينية جمالية ، بل أيضا حمل وظيفة تبليغية لما تحمله الشخصية اتجاه المكان ، فهو يعكس حقيقتها و يفسر سلوكاتها و يشرح طبائعها .

*شكلت مدينة قسنطينة بجميع مكوناتها من جسور و مساجد و شوارع و أضرحة فضاء مميزا في كلتا الروايتين فقد كانت هي الموضوع الرئيس .

*تعرف مدينة قسنطينة بأنها " مدينة الجسور المعلقة" فالجسور هي أيقونة المدينة و لها مكانة في نفوس السكان ، فبطل رواية– **الزلزال** –كان متعلقا بها و يقدسها لأنها هي التي ستنجيه في حال وقوع زلزال في المدينة ، أما بطل –**ذاكرة الجسد** –فكانت هذه الجسور تعبر عن حالته ، فقد كان يحس نفسه معلقا بين قسنطينة الزمن الماضي و يحاول تقبل قسنطينة الزمن الحاضر .

*رفض الروائيين للتطور التكنولوجي الذي أدى إلى تخلي السكان على كثير من قيمهم و عاداتهم ، فبطل رواية –**الزلزال**– رفض هذا التطور الذي أصاب المساجد و أدى إلى إفراغها من محتواها فهو يحن إلى بساطتها و حميميتها التي كانت عليها بعد أن أصبحت مجرد

مكان لأداء فريضة الصلاة و فقط ،أما بطل –**ذاكرة الجسد** –هو كذلك رافض لهذا التطور الذي جعل الهوائيات تقف ندا للمساجد و المآذن و تبث ما يتنافى مع قيم المجتمع القسنطيني .

*تحتل أضرحة الأولياء مكانة خاصة في نفوس القسنطينيين ، فهم يزورونها للتبرك بأوليائها الصالحين و للتمني لتحقيق رغباتهم و حاجاتهم .

*صور **الطاهر وطار** مدينة قسنطينة بطريقة سلبية فهو رافض لكل ما يراه ، فقد تغيرت المدينة في نظره و فقدت بريقها و عراقتها و أصالتها من خلال تغير مظهر المدينة فشوارعها صارت ضيقة ، كثرة السكان الذين تغيرت ملامحهم و روائحهم ، و المقاهي التي صارت لعامة الناس بعد أن كانت مكانا للطبقة المثقفة

أما **أحلام مستغانمي** فقد صورت المدينة بطريقة ايجابية حيث حملتها أبعادا رمزية ، فحملت صورة المرأة –الحبيبة– و – الأم– و الوطن ، كما حضرت هذه المدينة من خلال الملامح و الملابس و الحلي ، إلا أنها كانت رافضة و متذمرة من تغير بعض العادات و التقاليد و ظهور عادات لم تكن موجودة من قبل فحدثت الفجوة بين قسنطينة الأمس مدينة التاريخ و الحضارة و الثقافة و الرقي و قسنطينة الزمن الحاضر بعاداته الجديدة التي لم تكن موجودة من قبل .

*تشكل مدينة قسنطينة مع بطل – **ذاكرة الجسد**– علاقة حميمية ، فقد غدت هذه المدينة بجسورها و مساجدها جزءا من ذاكرته ، أما مع بطل – **الزلزال**– فنجد علاقته بها علاقة رفض و تذمر لقسنطينة الزمن الحاضر ، و في نفس الوقت علاقة حب و حنين لقسنطينة أثناء التواجد الاستعماري و شوقه لتلك الأيام .

بعد هذه الدراسة للروايتين يتضح لنا بأن المكان لم يوظفه الروائيين كإطار تدور فيه الأحداث فقط بل و حملاه قيما ذات أبعاد نفسية و اجتماعية .

و هذه الدراسة في أمكنة الروايتين لا تعني بأنها دراسة نهائية في هذا الموضوع ، بل هي بداية لدراسات أخرى نكتشف من خلالها أبعادا أخرى لهذه المدينة التي لا تتوقف عن البوح .

الملحق

التعريف بأحلام مستغانمي-1-:

ولدت أحلام في 13أفريل1953 ،هي كاتبة جزائرية من مواليد تونس ، ترجع أصولها إلى مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري.

كان والدها أحد ثوار المقاومة الجزائرية، وبعد مشاركته في مظاهرات 8ماي 1945 تم اعتقاله من قبل الجيش الفرنسي ، وأطلق سراحه بعد سنتين في 1947، وبعد أن فقد عمله في البلدية، قرر السفر إلى تونس وفيها عمل مدرسا للغة الفرنسية وهناك ولدت **أحلام** وهي البنت البكر للعائلة.

بعد الاستقلال عادت العائلة إلى الجزائر واستقرت بالعاصمة، كانت **أحلام** مقربة كثيرة من والدها وعلى اطلاع دائم بما يجري على الساحة السياسية، بحكم المنصب الذي كان يشغله والدها في السلطة.

درست اللغة العربية تلبية لرغبة والدها، فكانت ضمن أول فوج للبنات يتابع تعليمه في مدرسة **الثعالبية** أول مدرسة معربة للبنات في العاصمة، وانتقلت منها إلى ثانوية "**عائشة أم المؤمنين**"، وفي السنة التي كانت ستجتاز فيها امتحان البكالوريا اضطرت إلى العمل إلى جانب الدراسة، فكانت تقدم برنامجا يوميا في الاذاعة الجزائرية، وقد لاقت نجاحا كبيرا تجاوز الحدود الجزائرية إلى دول المغرب العربي، عملت لتعيل عائلتها بعد أن تركها الوالد دون مورد.

فنتيجة للانقلابات السياسية ، انقلاب" **بومدين**" واعتقال الرئيس "**أحمد بن بلة**"، تعرض " **محمد الشريف**" والد أحلام إلى انهيار عصبي جعله يفقد صوابه في بعض الأحيان ، مما أدى إلى الاقامة من حين لآخر في مصح عقلي تابع للجيش الوطني الشعبي.

لتتخرج عام 1971 من كلية الآداب بالجزائر ضمن أول دفعة معربة تتخرج بعد الاستقلال من جامعات الجزائر، هاجرت إلى فرنسا وتزوجت هناك وتفرغت لعائلتها.

وفي بداية الثمانينات عادت مجددا للكتابة في عدة مجلات، وتحصلت على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة السوربون، من أهم أعمالها:

***على مرفأ الايام عام 1973**

***كتابة في لحظة عري عام 1976**

***ذاكرة الجسد عام 1973(صنفت ضمن أفضل مائة رواية عربية)**

***فوضى الحواس عام 1997**

***عابر سرير عام 2003.**

حازت على عدة جوائز وأوسمة نتيجة لإبداعاتها خاصة أهم أعمالها " **ذاكرة الجسد**" التي ترجمت إلى عدة لغات.

يقول عنها الرئيس **أحمد بن بلة :" إن أحلام مستغانمي شمس جزائرية أضاءت الأدب العربي، لقد رفعت بإنتاجها الأدب الجزائري إلى قامة تليق بتاريخ نضالنا، نفاخر بقلمها العربي افتخارنا كجزائريين بعروبتنا".**

1-الموسوعة العالمية للشعر العربيwww .adab.com.

التعريف بالطاهر وطار-1-:

ولد الطاهر في 15أوت1936 في سوق أهراس، كبر في بيئة ريفية وأسرة أمازيغية.

إلتحق بمدرسة جمعية العلماء التي فتحت سنة 1950 ، فكان من ضمن تلاميذها النجباء، أرسله والده إلى قسنطينة ليتفقه في معهد عبد الحميد بن باديس عام 1952، وهناك تعرف على ثقافة أخرى موازية للفقه ولعلوم الشريعة وهي الأدب، فاطلع على مؤلفات **جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، وزكي مبارك، طه حسين، ومصطفى صادق الرافعي.**

انتقل إلى **جامع الزيتونة** بتونس عام 1954، وتعلم الفنون الأدبية كالقصة والرواية والمسرحية، حيث كتب قصة وبعث بها إلى **جريدة الصباح** التونسية، كما أعجب بكتابات نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس.

عاد إلى الجزائر وانضم إلى **جبهة التحرير الوطني** سنة1956 وظل يعمل في صفوفها حتى سنة 1984.

كرس حياته للعمل الفني والابداعي والثقافي وتنوع إنتاجه المعرفي والثقافي ففي عام 1962 أسس أسبوعية الأحرار بقسنطينة وهي أول أسبوعية في الجزائر المستقلة، وفي سنة 1963 أسس أسبوعية الجماهير، وكلا الأسبوعيتين أوقفتهما السلطة.

كما كتب في فن القصة ومن أهم أعماله:

***دخان من قلبي**

***الطعنات**

***الشهداء يعودون هذا الأسبوع**

أعماله المسرحية قليلة أهمها:

***على الضفة الأخرى**

***الهارب**

أما في الرواية فقد أبدع ومن أهم أعماله:

***اللاز**

***الزلزال**

***عرس بغل**

***الشمعة والدهاليز**

***الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء**

توفي في 12أوت 2010

1-الموسوعة العالمية للشعر العربي**www .adab.com.**

ملخص رواية الزلزال:

تدور أحداث ووقائع رواية . الزلزال بمدينة قسنطينة، بطلها الرئيسي عبد المجيد بوالأرواح وهو ابن أحد أكبر ملاك الأراضي أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، يعمل مديرا في إحدى الثانويات بالعاصمة ، وعندما يسمع بقرار تأميم الأراضي يقرر العودة إلى **قسنطينة** التي لم يزرها منذ مدة طويلة، باحثا عمن تبقى من أقاربه الذين نسيهم كل تلك الفترة وأهملهم، ليتذكرهم عند حاجته إليهم ليقسم عليهم أراضيه ويسجلها باسمهم شريطة ألا يستغلوا الأرض إلا بعد موته ، بحكم أن ليس له أولاد(**بوالأرواح العاقر**)، حتى يصعب على الحكومة تأميمها، ومع سير الأحداث يتضح لنا بأن أقرباء عبد المجيد فقراء، فبالتالي يستطيع إجبارهم على شروطه، وأثناء بحثه عمن يقف معه يتفاجأ بالوضع الذي آلت إليه مدينة قسنطينة، فبعد أن كانت مدينة البورجوازية والباشوات والأثرياء، تغيرت تغيرا كليا عما كانت عليه في عهد الاستعمار الفرنسي، أصبحت مدينة الأشخاص البسطاء أبناء القرى والمداشر الهاربين من وضعهم المزري والباحثين عن لقمة العيش.

فيلاحظ تحولات وتغيرات قد حدثت في العادات والتقاليد والأعراف التي خلفها البورجوازيون، فبعد أن كان المستشفى حكرا عليهم، أصبح لعامة الشعب العلاج فيه مجانا. كما يتفاجأ لتغير الأشخاص الذين كان يريد من خلالهم تحقيق مطامعه، فيشعر بخيبة أمل واستغراب لحال المدينة ، ولفشله في تحقيق مراده الذي جاء لأجله فيتمنى أن يضرب المدينة زلزالا يقضي على من وقف في وجهه لتحقيق مبتغاه.

فبوالأرواح نموذج مثالي لصورة الاقطاعي الرجعي المعادي للحاضر، فيصاب بنوع من الهستيريا ويبدأ بالصراخ ويحاول الانتحار لكنه ينقذ في آخر لحظة.

ملخص رواية ذاكرة الجسد:

تبدأ هذه الرواية بسرد بطلها "**خالد بن طوبال**" لكيفية تعرفه على "**سي الطاهر**" والد بطلة الرواية "**حياة**" ، والتحاقه بالثورة بعد وفاة أمه، فتكفل "**سي الطاهر**" بتعليمه كيفية النضال ، فكسب "خالد" ثقته ، وأصبحت تسند إليه العمليات الخاصة والصعبة، وفي إحدى المعارك يصاب خالد في ذراعه اليسرى واقتضت الضرورة أن تبتر ذراعه وبالتالي يحال على الحياة المدنية، وعند مغادرته يأتي إليه "سي الطاهر" ليودعه ويحمله أمانة إلى أمه وورقة فيها اسم المولودة ليسجلها في دار البلدية، وبعد أربع سنوات يسقط"سي الطاهر" تاركا خلفه أمه وزوجته وحياة و"ناصر".

وتمر السنون، وفي أحد المعارض يقوم بعرض لوحاته على الجمهور، ولم يكن يعلم أن القدر سيجعله في اختبار، وبينما الزوار يلجون المعرض إذ به يلمح فتاتين ملامحهما جزائرية، إحداهما يحس بأنه يعرفها منذ أمد بعيد، فتتملكه رغبة شديدة للاقتراب منها والتحدث معها، فيتفاجأ بأن تلك الصغيرة لطالما لعبت على حجره.

وبعد ذلك اللقاء تبدأ علاقتهما بالتطور، فهي التي جاءت إلى المعرض لتلتقي برجل لازم أباها ليحكي لها عنه بإيجابياته وسلبياته لا كما يحكون عنه كبطل خارق، لتتطور العلاقة إلى رغبة وعشق وحلم، فينتابه شعور بالحب تجاه " حياة" التي تصغره بخمس وعشرين سنة التي تبادله المشاعر، لكن هل هي مشاعر حب؟ أم مشاعر ارتياح؟ أم أنها وجدت فيه أبا؟

أحبها "خالد" وكانت أحيانا تمنحه أملا أنها تبادله نفس الاحساس ، واستمر على ذلك الأمل إلى أن جاءته دعوة من عمها " سي الشريف" ليحضر حفل زفافها، اختلطت أحاسيسه يومها بين الألم والدهشة، فحلمه الذي عاش على أمل أن يتحقق في يوم ما ضاع في لحظة، فيقرر حضور حفل الزفاف رغم عدم رضاه بهذا الزفاف التجاري ، يسافر "خالد" إلى

فرنسا وبعد إقامته فيها مدة يأتيه خبر وفاة أخيه "حسان" رميا بالرصاص في أحدا ث أكتوبر 1988، فيعود إلى قسنطينة لمواراة جثة أخيه بالتراب، ويقيم مع زوجة أخيه.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر
1- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان،ط26، 2007.
2- الطاهر وطار، الزلزال، موفم للنشر، الجزائر،2007.
ثانيا: المراجع بالعربية
1- **إبراهيم محمود خليل، "النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك"**، دار المسرة للنشر، عمان، ط1، 2003،.
2- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، بيروت(لبنان)، ط1، 1960.
3- أخضر بن السايح، سطوة المكان و شعرية القص في رواية ذاكرة الجسد، دراسة في تقنيات السرد، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
4- **أسماء أحمد معيكل، " الأصالة والتغريب في الرواية العربية"**، روايات حيدر حيدر نموذجا، دراسة تطبيقية، عالم الكتب الحديث، أربد ، الأردن، ط1، 2011.
5- **باديس فوغالي، "الزمان والمكان في الشعر الجاهلي"**، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط1 ، 2009.
6- **حسن بحراوي ،"بنية الشكل الروائي"**(الفضاء الزمن ، الشخصية)، الوكز الثقافي العربي،بيروت ،لبنان، الدار البيضاء.
7- **حفيظة أحمد، "بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية"**، دراسة نقدية، منشورات أوغاريت، رام الله ، فلسطين، ط1، 2008..
8- **حميد لحميداني، "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي"**، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار البيضاء، ط1993،2.
9- ديوان أبي تمام، موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي غلى العصر الحديث، دار البد للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011.
10- ديوان حسان بن ثابت–رضي الله عنه– موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، دار البدر للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011.

11- ديوان لبيد بن ربيعة، موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، دار البدر للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2011.

12- ديوان امرؤ القيس، موسوعة شعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، دار البدر للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2011.

13- **سعيد يقطين**، قال الراوي،"**البنيات المكانية في السير الشعبية**"، المركز الثقافي العربي،ط1.

14- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1994، ص 222.

15- **الشريف حبيلة**، "**بنية الخطاب الروائي**"، دراسات في روايات نجيب الكيلاني، الأردن، ط1، 2008

16- **صبحية عودة زعرب**، كتاب غسان كنفاني،"**جماليات السرد في الخطاب الروائي**"، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006.

17- ضياء غني لفته و عواد كاظم لفته، سردية النص الأدبي، دار الحامد للنشر و التوزيع، عمان(الأردن)، ط1،2011.

18- **عبد الحميد بورايو**، "**منطق السرد**"، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، منشورات السهل، الجزائر،ط1، 1998.

19- عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ، دراسة في ضوء منهجي بروب و غريماس، عالم الكتب الحديث، العراق، ط1، 2011.

20-**غالب هلسا**،"**المكان في الرواية العربية**"،دار ابن هاني، دمشق، ط1، 1989.

21- **محمد عبيد صالح السبهاني**،"**المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة**"،دار الأفاق العربية،القاهرة-مصر-ط1،2007.

22- محمد زغلول، "دراسات في القصة العربية الحديثة بين الواقعية والالتزام" ،دار العربية نشأة المعارف، الاسكندرية، مصر،ط1،1987.

23- محمد مفتاح، " دينامية النص"،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1987.

24- **هيام شعبان**، "**السرد الروائي في أعمال ابراهيم نصر الله**"، دار الكندي، إربد الأردن، ط1، 2004.

25- ياسين النصير، الرواية و المكان، الموسوعة الصغيرة، منشورات وزارة الثقافة و الاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد(العراق)، ط1، 1986.

ثالثا:المراجع بالأجنبية

1- **جنيت كولد نستين، رايمونكريفل وغيرهم، "الفضاء الروائي"** تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق،ط1،2002.

2- **جوزيف إ.كيسنر، "شعرية الفضاء الروائي"**،تر: لحسن أحمامة، افريقيا الشرق، المغرب،ط1،2002.

3- **غاستون باشلار،"جماليات المكان"**، تر:غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، بيروت(لبنان)،ط2،1984.

رابعا: المعاجم

1- **إبراهيم مصطفى وآخرون،" معجم الوسيط"**، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،ج1،ج2،اسطنبول، تركيا،ط1،1972.

2- **إبن فارس،"مقاييس اللغة"**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،المجلد الأول، بيروت-لبنان-،ط2، 2008.

3- **بن منظور،"لسان العرب"**، مجلد11،دار صادر، بيروت، ط1، 1990.

خامسا :المجلات والدوريات

1- **نصيرة زوزو، "إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر"**، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، العدد السادس، 2010.

سادسا : الرسائل الجامعية

1- سعيدة بن بوزة، بنية المكان في روايات الطاهر وطار، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، باتنة، 2000-2001.

سابعا: المواقع الاليكترونية

الموسوعة العالمية للشعر العربي www.adab.com

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	ـــــ
مقدمة	أ . ب
مدخل:	6-1
الفصل الأول: تحديد المفاهيم	20-7
1-مفهوم المكان:	8
1-1-المفهوم اللغوي	8
1-2-المفهوم الاصطلاحي	10-8
2-أنواع المكان:	11
2-1-المكان الهندسي	-11
2-2-المكان المجازي	12-11
3-مفهوم الفضاء:	13
3-1-المفهوم اللغوي	13
3-2-المفهوم الاصطلاحي	15-14
4-أنواع الفضاء	16
4-1-الفضاء الجغرافي	16
4-2-الفضاء النصي	17-16
4-3-الفضاء الدلالي	17
4-4-الفضاء كمنظور أو كرؤية	18
5-الفرق بين الفضاء والمكان	20-19
الفصل الثاني: أنواع المكان في روايتي الزلزال وذاكرة الجسد	50-21
أولا:الأمكنة المفتوحة	22
1-مدينة قسنطينة	29-23
2-الجسور	33-30
3-المساجد	36-34

4-الشوارع	39-37
5-المقبرة	43-40
6-المقهى	45-44
ثانيا:الأمكنة المغلقة	46
1-البيت	48-47
2-السجن	50-49
خاتمة	53-51
ملحق	60-54
قائمة المصادر والمراجع	ــــــــ
فهرس الموضوعات	ــــــــ
ملخص	ــــــــ

ملخص

لقد شغل الحديث عن المدينة و ما تحمله من أبعاد اجتماعية و سياسية مكانا بارزا في الرواية .

و قد كان هذا موضوع الدراسة الموسوم ب : " **صورة المدينة في رواية – الزلزال – و – ذاكرة الجسد** –" فهذه المدينة لم تحضر كفضاء تجري فيه الأحداث فحسب ، بل كانت محملة بقيم ذات أبعاد مختلفة نفسية و اجتماعية .

فجاءت صورة المدينة في حالة صراع و تخبط بين الزمن الحاضر ذو العادات و التقاليد التي لم تكن موجودة من قبل و تخلي سكانها عن ماضيهم و بالتالي تخليهم عن هويتهم و انتمائهم ، و الحنين للزمن الماضي زمن الرقي و العراقة و الأصالة و التاريخ و الذاكرة.

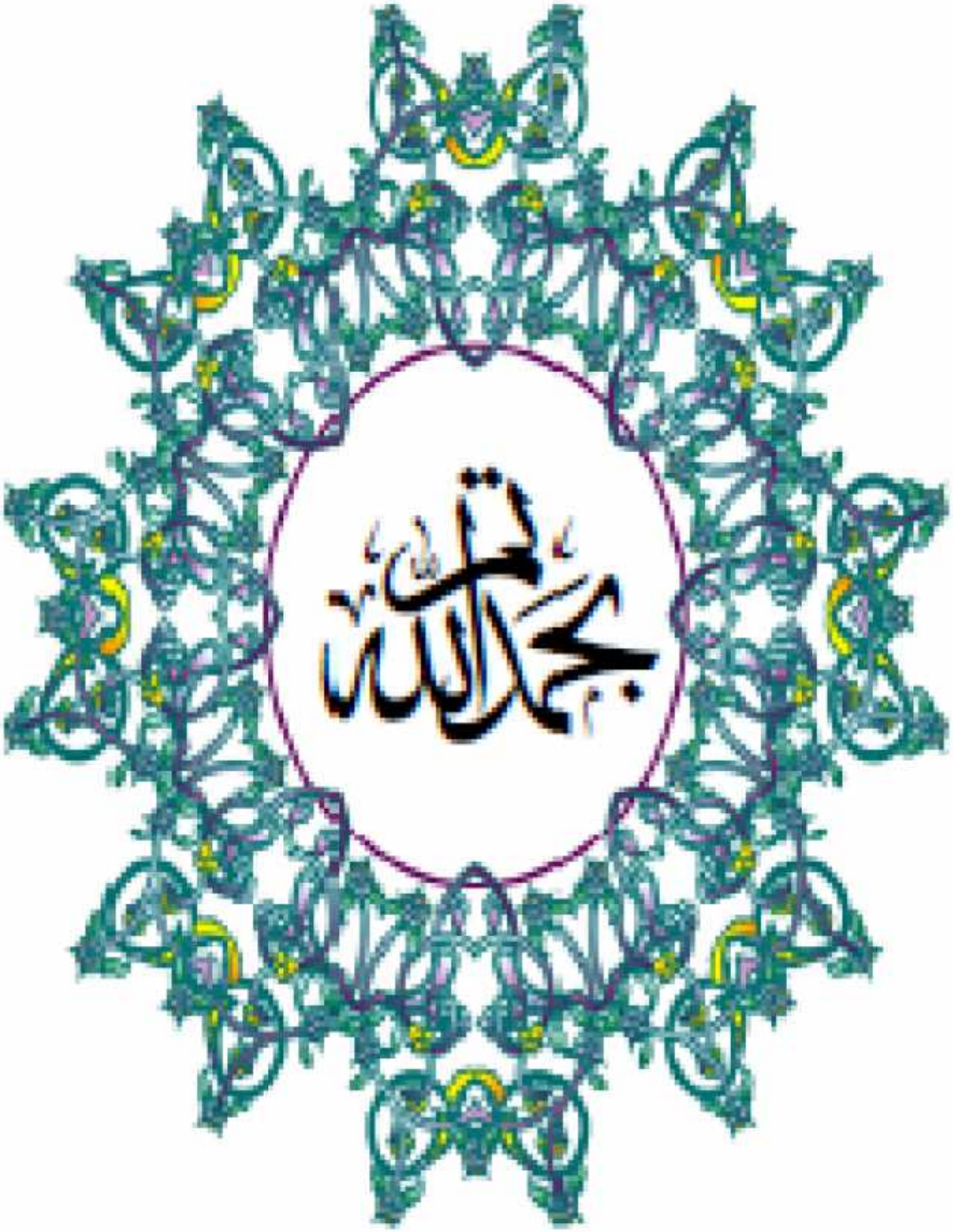
تم بحمد الله